قادة مصر الفرعونية

سنفرو

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

قادة مصر الفرعونية

سنفرو

مكتبة الأسرة
٢٠٠٨

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د . ناصر الأنصارى

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومى للشباب

وزارة التنمية الإقتصادية

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

طبعة خاصة من دار الياس العصرية للطباعة والنشر
ضمن مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٨
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٨/١١٤٣٠١
الترقيم الدولى: ٣-٣٩٩-٤٢٠-٩٧٧-٩٧٨

First published in English in the United States of America by
The Rosen Publishing Group, Inc.,
29 East 21st street, New York, NY 10010
Copyright © 2003 by The Rosen Publishing Group, Inc.
All rights reserved
Arabic translation copyright © 2007 by Elias Modern Publishing House

الطبعة العربية:

©دار الياس العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٧
١ شارع كنيسة الروم الكاثوليك. الظاهر. القاهرة. ج.م.ع.
ت: ٢٥٩٣٩٥٤٤ - ٢٥٩٠٣٧٥٦ (٢٠٢)
فاكس: ٢٥٨٨٠٠٩١ (٢٠٢)

www.eliaspublishing.com

ترجمة: اسحاق بنيامين
رقم الإيداع بدار الكتب: ١٦٦٦٤ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى: ١ - ٢٣٩ - ٣٠٤ - ٩٧٧

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أى وجه، أو بأى طريقة، سواء كانت إلكترونية، أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

المحتويات

المقدمة		5
الفصل الأول	نشأة سنفرو	19
الفصل الثانى	سنفرو ملكًا	32
الفصل الثالث	الاستعداد للحياة الأخرى	43
الفصل الرابع	مشروعات البناء	56
الفصل الخامس	إدارة شئون الحُكم	65
الفصل السادس	بناء المزيد من الأهرامات	79
الفصل السابع	وفاة الملك	91

مَكْتَبَةُ لِسَانِ العَرَبِ
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com

البحر المتوسط
الإسكندرية
دلتا النيل
أواريس
مصر السفلى
(الوجه البحرى)
هليوبوليس
القاهرة
الجيزة
منف
سقارة
سيناء
دهشور
ميدوم
الفيوم
تل العمارنة
الصحراء الشرقية
مصر العليا
(الوجه القبلى)
الصحراء الغربية
البحر الأحمر
أبيدوس
دندرة
طيبة
الكرنك
الأقصر
جزيرة الفيلة (ألفانتين)
نهر النيل
أسوان
أبو سمبل
النوبة

مصر القديمة

المقدمة

نمت حضارة مصر القديمة وازدهرت بفضل ظروفها الجغرافية الفريدة، فمصر تنقسم إلى جزأين: الجزء الجنوبى، ويُعرف بالصعيد أو الوجه القبلى، وهو يتكون من شريط ضيق طويل من الأرض الخصبة على كل من ضفتى النيل، الذى ينساب من الجنوب إلى الشمال، أما بقية الأرض الموجودة فى الصعيد، فهى صحراوية، وتُوجد فيها جبال صخرية فى الشرق، بين نهر النيل والبحر الأحمر، إلاّ أننا فى الغرب، لا نجد شيئًا سوى مساحات شاسعة من رمال الصحراء بخلاف بضعة واحات قليلة. وأما الجزء الشمالى من القطر، والمعروف بمصر السفلى، أو الوجه البحرى، فهو عبارة عن أرض مستوية يتشعب فيها النهر إلى فرعين صغيرين على شكل حرف V عريض، ويُطلق على هذه المنطقة دلتا النيل.

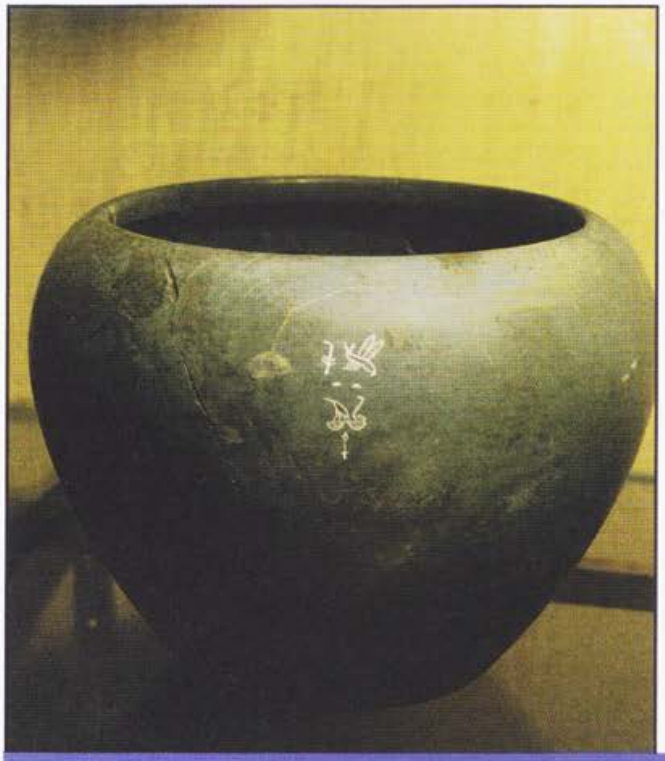

هذا الإناء الحجرى يُعتقد أنه كان مِلكًا لعائلة سنفرو الملكية.

كانت فكرة أن الجزأين يُكونان معاً شيئًا صحيحًا كاملاً، أمرًا شائعًا فى الفِكر المصرى القديم، فالبلد تنقسم جغرافيًّا إلى شمال وجنوب، والأرض ذاتها، كان يُنظر إليها على أنها تنقسم إلى التربة الخصبة السوداء الصالحة للزراعة، والتى كان يُطلق عليها «كِمِت»، والصحراء، التى كان يُطلق عليها «دِشْرِتْ»، وملوك مصر، الذين كانوا يُعرفون بالفراعنة، دائمًا ما كان يُطلق عليهم ملوك القطرين، وتاج الملك كان فى الحقيقة مكونًا من تاجين متداخلين، التاج الأبيض للصعيد، والتاج الأحمر للوجه البحرى، وكلمة فرعون مأخوذة من الكلمتين المصريتين القديمتين «بَر- عا» أو البيت العظيم، وكان يُطلق على قصر الملك.

نظام الحُكم

يُعد الفرعون أقوى فرد فى المجتمع، فهو المسؤول عن جميع المؤسسات الدينية والسياسية، وهو الذى يقوم باختيار جميع أعضاء الحكومة، وجميع الكهنة المهمين، الذين غالبًا ما كانوا أفرادًا من عائلته، ويُعتبر منصب الملك منصبًا إلهيًّا، حيث يُمثل الملك إلهًا يُدْعى «حورس»، الذى كان ابنًا لإلهين مهمين هما «أوزيريس» و«إيزيس»، وكان أحد ألقاب الفرعون «ابن رع» الذى يُظهر أن الملك يرتبط ارتباطًا وثيقًا كذلك بإله الشمس «رع»، ومن الناحية الروحية، فإن الدور الرئيسى للملك، هو الحفاظ على «ماعت»، التى يصعب ترجمتها ترجمةً دقيقة، إلا أنها تشتمل على فكرة النظام مقابل الفوضى، وتعنى: الحق، بشكل عام.

ودائمًا ما كان هناك تأكيد شديد على أهمية الاتحاد بين القطرين، ذلك لضرورته فى إدارة شئون الدولة بكفاءة، ودائمًا ما كان هناك احترام للطبيعة الثنائية للقُطر، وذلك بتعيين وزيرين، وأمينين للخزانة، بل وأكثر من ذلك، فى بعض الأحيان، كانت هناك هيئتان كاملتان من موظفى الدولة، ولقد أثبتت هذه الاستراتيجية نجاحها؛ حيث ظلت مصر متحدة طوال معظم فترات تاريخها.

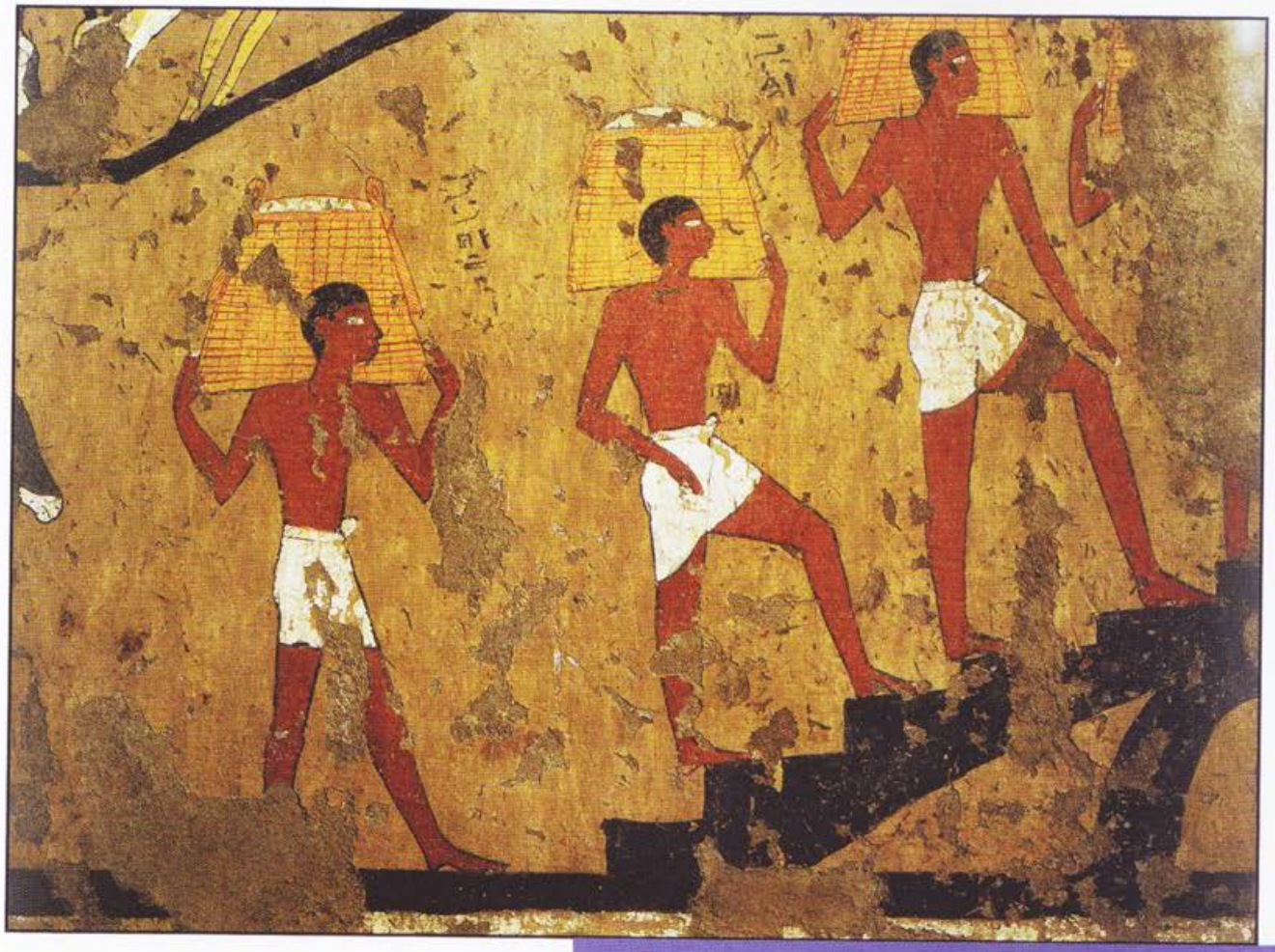

هذه اللوحة الجدارية من إحدى المقابر تُصور، الفلاحين وهم يحصدون الحبوب.

ثلاثة فصول

كانت السنة عند المصريين تنقسم إلى ثلاثة فصول، يُطلق عليها: الفيضان (يونيو - سبتمبر)، والزراعة (سبتمبر- إبريل)، والحصاد (إبريل- يونيو).

وكان فصل الفيضان يجيء عندما يزداد حجم النيل بسبب الأمطار الغزيرة التى تأتى من أقصى الجنوب فى إفريقيا، وبينما كان منسوب مياه النيل يرتفع، كان يفيض على ضفافه الممتدة عبر الوادى، ويغمر أراضى الريف المحيطة به، وكانت هذه المياه تحمل معها كذلك كميات ضخمة من الطمى والمواد العضوية، ومن ثم، كانت الأرض تُرَوى بالمياه، وتزداد خصوبتها استعدادًا للعام التالى، وكانت

المحاصيل تُزرع بمجرد انحسار المياه فى فصل الزراعة، وكانت هذه الزراعات تشتمل على حبوب مثل الشعير، والقمح الربيعى، والقمح الشتوى، وكانت الحبوب تُستخدم فى صناعة الخبز، وبعض المشروبات، أما الخضراوات فكانت تشتمل على الخس، والخيار، والبصل والكرات، والفول، والشمام، والبطيخ، ونباتات الخروع لإنتاج الزيوت التى كانت تُستخدم فى أغراض الطهى، والعقاقير الطبية، وأدوات التجميل، والعطور، ووقود مصابيح الإنارة، وكذلك، كانت الأعشاب والتوابل تزرع، بما فيها الشبت والزعفران، كما كان يتم تربية النحل من أجل الحصول على العسل. أما الأشجار التى كانت تُزرع من أجل الحصول على ثمارها، فكانت تشتمل على نخيل التمر، وأشجار التين، والرمان، وكان العنب يُزرع فى كُروم من أجل صناعة المشروبات، كما أن المصريين كانوا يستمتعون بزراعة

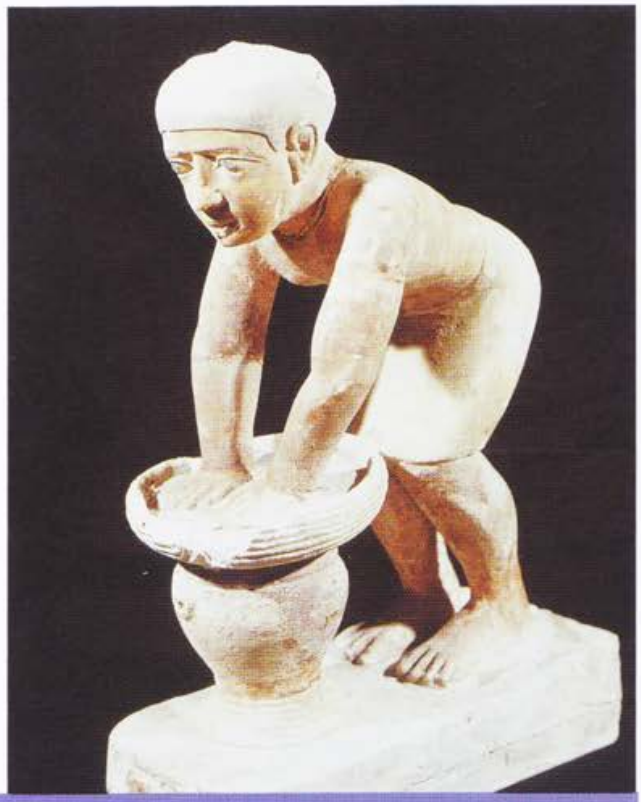

يُصور هذا التمثال المصنوع من الطين أحد الفلاحين وهو يعجن العجين.

البساتين، فزرعوا الأشجار، وأنواع الزهور التى امتلأت بها حدائق المنازل، وثمة نبات آخر كان شائع الانتشار، وهو الكتان الذى كانت تُصنع منه الأقمشة الرئيسية لصناعة الملابس، إلى جانب الصوف وجلود الخِراف والماعز. وكانت هذه المحاصيل تُزرع على نطاق واسع، كما هو الحال بالنسبة لتربية الماشية، فضلاً عن أنواع مختلفة من الأسماك التى كان يتم اصطيادها من النيل، وكذلك الطيور التى كانت موجودة فى المنطقة، ولاسيما البط. وهذا يوضح لنا أن المصريين كانوا يحظون بنظام غذائى ثرى ومتنوع.

نظام المقايضة

لم يستخدم المصريون النقود، إلا أنهم - عوضًا عن ذلك - كانوا يستخدمون نظامًا اتسم بالكفاءة، وكان يتم بمقتضاه تبادل السلع وتقديم الهدايا، ويُعرف هذا النظام بالمقايضة، ومن الصعب علينا أن نتصور مدى جدوى هذا النظام، حيث إننا قد اعتدنا فى عصرنا هذا على أن يكون فى حوزتنا إما نقود حقيقية متمثلة فى عملات معدنية أو ورقية، أو نقود عينية متمثلة فى الشيكات أو البطاقات الائتمانية، وكما هو الحال بالنسبة لنا، فقد كان للمصريين قيمٌ وتقديرات مختلفة لأشياء مختلفة، فقد كانوا يعتقدون - على سبيل المثال- أن

البطة أكثر قيمةً من رغيف الخبز، أو أن قطعة من النحاس هى أكثر قيمةً من قطعة أخرى من الخشب فى مثل حجمها، وكان ينبغى على المصريين القدماء أن يحتفظوا فى أذهانهم بالقيم الحقيقية للأشياء عند شرائهم أو بيعهم إياها، فإذا ما قام أحدهم بعمل لمدة يوم فى إحدى المزارع، فربما يحصل على أجره فى شكل ثلاثة أرغفة من الخبز، وست من البيض، وزوج من النعال، وهى فى مجموعها، تمثل أجره لهذا اليوم، وفى اليوم التالى قد يكون أجره فى صورة سلع أخرى، ربما عشرة أرغفة من الخبز، أو إوزة، وهى كانت بمثابة سلع غالية الثمن، وإذا ما أراد فى اليوم التالى، الذهاب للتسوق، وشراء رداء لابنته، فحينئذ قد يدفع لصاحب الحانوت أرغفة الخبز الخمسة المتبقية، التى لم تتناولها عائلته، أو ربما خستين من تلك التى قامت زوجته بزراعتها فى حديقتهم.

إن الأشياء التى يقدمها الناس لبعضهم البعض ليست دائمًا أشياء مادية، ففى بعض الأحيان، يمكن للناس أن يشتروا أو يبيعوا هذه الأشياء عن طريق عرضهم القيام بعملٍ ما، أو تقديم خدمات، فعلى سبيل المثال، الكتبة، الذين كان فى وسعهم أن يقرأوا أو يكتبوا، لهم أهمية قصوى ومكانة رفيعة، ذلك لأن معظم الناس لم يكونوا، يستطيعون القراءة أو الكتابة، ومن ثم، لا يضطر الكاتب لزراعة ما

يحصل منه على طعامه، أو صناعة ملابسه بنفسه، لأن الناس يدفعون له أجره بواسطة هذه الأشياء، مقابل الخدمات التى أداها لهم، مثل كتابة رسالة لقريب يقطن مدينة أخرى، وهذا القريب بدوره، كان ينبغى عليه أن يدفع لكاتبٍ آخر فى مدينته كى يقرأ له هذه الرسالة، وقد نجح هذا النظام من المقايضة بين مختلف طوائف المجتمع المصرى، ومن ثم، فقد كان الجميع، من الفلاحين والعمال إلى الفرعون ومهندسيه، ورجال الدولة، يتقاضون رواتبهم بهذه الطريقة.

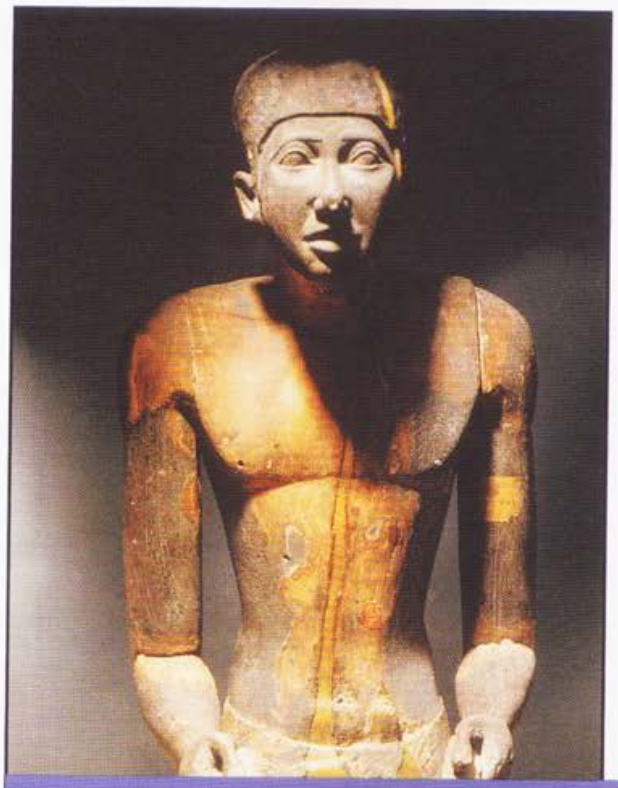

تمثال خشبى لأحد موظفى الدولة القديمة.

تاريخ مصر

يقسم الدارسون تاريخ مصر إلى عصور مختلفة، كى يسهلوا دراسته، وأول من قام بهذا، هو كاهن مصرى يُدعى «مانيتون» هو الذى كتب تاريخ مصر باللغة اليونانية للفرعون «بطليموس الأول» حوالى سنة 300ق.م، وقد قام «مانيتون» بتقسيم حكام مصر إلى حوالى ثلاثين

مجموعة مختلفة، أُطلق عليها أُسرات، وعادة ما تقوم هذه التقسيمات على عائلات حاكمة مختلفة، وتم تقسيم تاريخ مصر أيضًا، إلى حقبات رئيسية، وأهمها: الدولة القديمة (2600-2150ق.م تقريبًا)، والدولة الوسطى (2000-1600ق.م تقريبًا)، والدولة الحديثة (1550-1090ق.م تقريبًا).

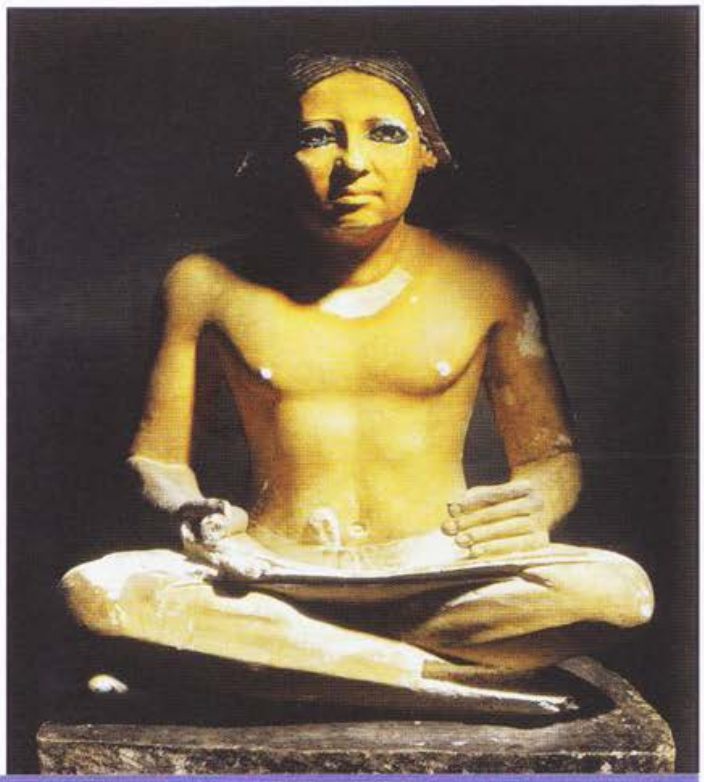

تمثال ملون من الحجر الجيرى لكاتب، يجلس القرفصاء، وهو يمسك بلفافة من البردى.

وعلى الرغم من أن المصريين أنفسهم لم يكتبوا فى الحقيقة كُتبًا فى التاريخ حتى فترة متأخرة - فى العصر الهلينى عندما كان يحكمهم اليونانيون، فإن هناك طرقًا أخرى عديدة، يمكننا أن نكشف من خلالها، ما كان يحدث، باستخدام اللوحات، والمصادر المدونة، والاكتشافات الأثرية، ونحن نعلم الكثير عن أكثر شرائح المجتمع ثراءًا، وهم الذين كانوا يمثلون الصفوة، لأنهم كانوا هم فقط الذين يستطيعون زخرفة بيوتهم ومقابرهم، وهم الوحيدون، بخلاف الكتبة، الذين كان فى وسعهم القراءة والكتابة، وهناك بعض

المعلومات المعروفة عن الـ99% الباقية من السكان، وهى تأتينا بصفة رئيسية، من أعمال الحفر والتنقيب لقراهم المزدحمة، والمكتظة ببيوتهم الصغيرة وجباناتهم.

الأدلة

أحيانًا كان يُزخرف الفراعنة معابدهم بقوائم من أسماء الملوك السابقين، وهذه الزخارف تُعرف باسم «أثبات الملوك»، ومن ثم يوُجد العديد من هذه الزخارف، ويمكن أن نجد واحدة من أكثر هذه الأثبات شمولاً فى معبد الفرعون «سيتى الأول»، ويرجع إلى الأسرة التاسعة عشرة (1294-1279ق.م) بأبيدوس، ويضُم أسماء تسعةٍ وسبعين ملكًا يرجع تاريخهم إلى الأسرة الأولى، كما يضم ثبتٌ آخر، مكتوب فى معبد الكرنك إبَّان الأسرة الثامنة عشرة، أسماء اثنين وستين ملكًا ما بين الأسرتين الأولى والثامنة عشرة، كما تَمّ العثور على قائمة أخرى فى مقبرة أحد كتبة الأسرة التاسعة عشرة بسقارة، ويُدعى «تنرى»، وهى تضم أسماء سبعةٍ وخمسين حاكمًا بين الأسرتين الأولى والتاسعة عشرة، وأيضًا، تم العثور فى القرن التاسع عشر، على إحدى البرديات المكتوبة باللغة الهيراطيقية أحد أشكال الكتابة التى تتسم ببساطتها عن اللغة الهيروغليفية وهى تُعرف الآن

ببردية تورينو، وتضم فى أصلها أسماء ما يربو على ثلاثمائة حاكم.

وكانت المعابد، ولاسيما تلك التى ترجع إلى الدولة الحديثة، مزخرفة بلوحات وأوصاف مدونة للفراعنة الذين يُلحقون الهزيمة بأعداء مصر، وعلى الرغم من أنها كان المقصود بها التأكيد على الدور القوى للملك، وإظهاره بأنه كان يحافظ على «ماعت»، فإنها كانت يمكن أن تُستَخدم كذلك أيضًا لتثبيت ما كان يحدث فى فترة حُكم كل فرعون منهم. وتَمّ زخرفة مقابر نبلاء الدولة القديمة بالعديد من المشاهد المختلفة التى تصف الحياة اليومية، وأحيانًا كانت هذه المشاهد تشتمل على السيرة الذاتية لصاحب المقبرة، فضلاً عن بعض الرسوم التوضيحية الخاصة بإعداد صاحب المقبرة لتحنيطه ودفنه، وكثيرًا ما كانت تشتمل هذه المشاهد على صور أفراد الأسرة وأسمائهم، فضلاً عن وظائفهم.

وقد أظهرت لنا أعمال الحفر والتنقيب فى المعابد، الكيفية التى كانت تتمُّ بها الممارسات الدينية فى مصر، والأشياء التى كان يقوم بها الكهنة، بينما قدمت لنا أعمال الحفر والتنقيب فى القصور والمدن، الكثير من المعلومات عن الصورة التى كانت عليها بيوت الناس وحدائقهم، وقطع الأثاث التى كانت متوفرة لديهم، وما كانوا يأكلونه، وأما الحفائر والتنقيب فى الجبانات، فقد أظهرت لنا ما كان يعتقد

الناس بأهمية اصطحابه معهم إلى الحياة الأخرى، فضلاً عن تزويدنا بالكثير من المعلومات الخاصة بممارسات طقوس الدفن.

سنفرو

تولى الملك «سنفرو» حكم مصر إبّان الدولة القديمة، وينظر المصريون، إلى هذا العصر بوصفه العصر الذهبى للحضارة المصرية، حيث تطورت فيه الفنون، التى كانت تشمل اللغة، والعمارة، والنحت، والتصوير، إلى درجة رفيعة جدًّا، كما أنه كان أيضًا عصرًا تولى فيه قيادة البلد حكام أقوياء، حافظوا على استقرار السلام، وانتشار الرخاء بين السكان، كما قام هؤلاء الفراعنة الأقوياء ببناء العديد من الأهرامات عند حافة الصحراء، فى المنطقة التى تقع بين وادى النيل والدلتا. إنه ذلك العصر الذى نشأت فيه العلاقات التجارية مع البلاد الأخرى فى إفريقيا والشرق الأوسط، وتمّ فيه استيراد الكثير من السلع والبضائع الفاخرة التى لم يكن للمصريين عهد بها.

ويُعد «سنفرو» أول فراعنة الأسرة الرابعة، وقد تولى الحُكم لمدة أربعة وعشرين عامًا ما بين السنتين 2500 و2476ق.م. تقريبًا، وقد قام ببناء ثلاثة أهرامات مختلفة إبان فترة حياته، هرمين فى دهشور،

وأكمل الثالث فى ميدوم، وهو أبو «خوفو»، الذى قام ببناء الهرم الأكبر الشهير بالجيزة. وقد قام بجلب الأخشاب من لبنان، والفيروز من صحراء سيناء، وخاض حملات ناجحة ضد النوبيين فى وسط إفريقيا، وكذلك ضد رجال القبائل الليبيين فى الصحراء الغربية، وهو يُذكر فى الكتابات المصرية على أنه الحاكم المحسن المحبوب.

أبو الهول العظيم (إلى اليمين) والهرم الأكبر لخوفو بالجيزة.

نشأة سنفرو

ولد «سنفرو»، وترعرع فى القصر الملكى بالعاصمة منف، بالقرب من القاهرة فى الوقت الحاضر، ولا تتوافر لدينا أدلة تتعلق بهذا القصر، غير أن المقارنة مع بعض المصادر الأخرى تشير إلى أنه كان بناءًا فسيحًا، يتسم بالفخامة، وكانت جدرانه مبنية من الطوب اللبن، وأما نوافذه، فقد تَمّ تصميمها على أن تكون أسفل السقف مباشرةً حتى تسمح بدخول الضوء، ونسائم الهواء العليل، وقلما كان يتساقط المطر على منف، ومن ثم، كانت هناك أيضًا أماكن للمعيشة فوق السطح، من المرجح أنها كانت تظللها مظلات مصنوعة من الكتان والحصير.

وكانت الأراضى الفسيحة التى يضمها القصر، تشتمل بين جنباتها على المبانى الرئيسية، التى كانت تحتوى على أجنحة عديدة من الحجرات، بما فيها من غرفات للنوم، وحمامات، وقاعات للولائم والاحتفالات، وقاعات لاستقبال الضيوف، وبعض

تمثال منحوت للفرعون سنفرو، الذى تولى الحكم من سنة 2500 إلى 2476ق.م.

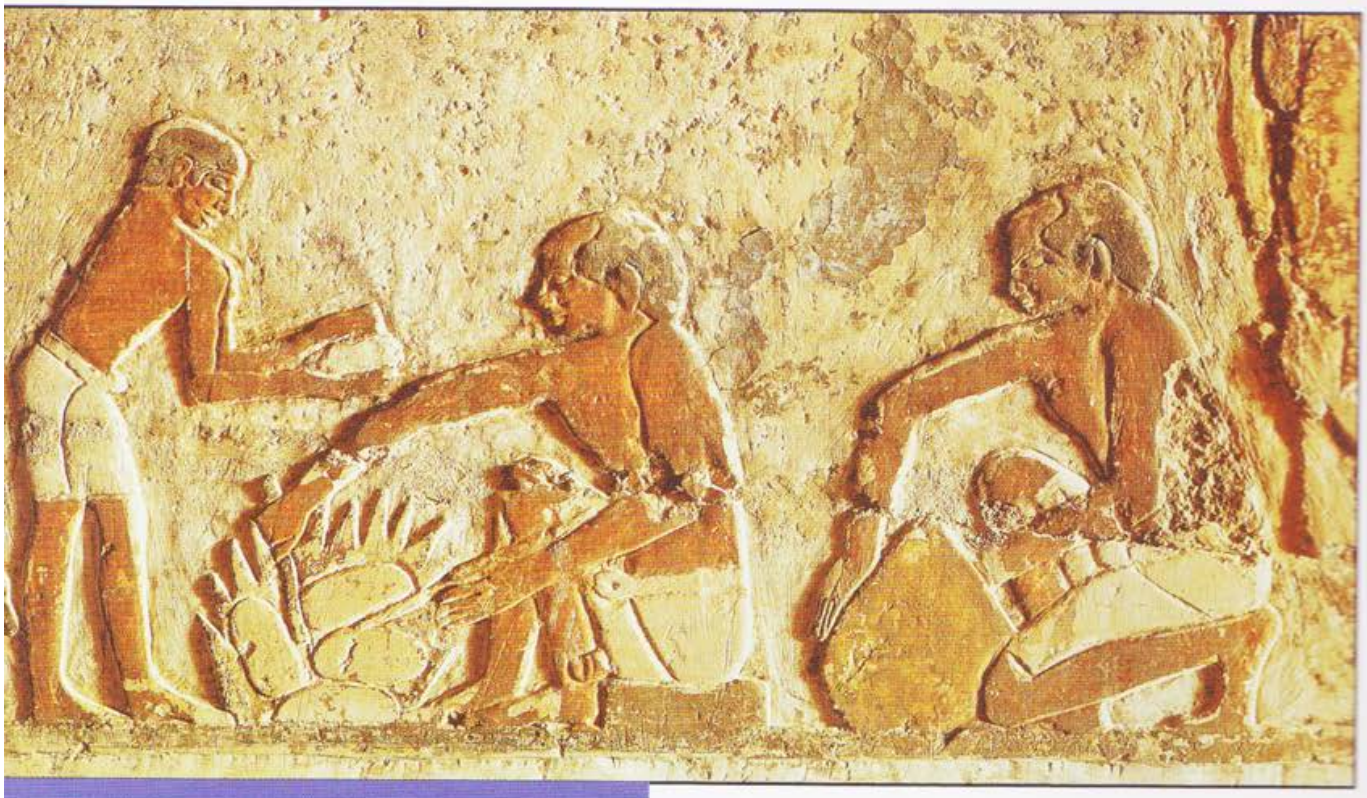

نقش حجرى يُظهر الطهاة وهم يقومن بإعداد الخبز وخبزه.

هذه القاعات كانت مكشوفة لا سقف لها، وربما كانت محاطة من جوانبها بطرقات للتمشية، أو أروقة مسقوفة ذات أعمدة، وكانت جدران القصر وأرضياته مزدانة بصور لنباتات، وزهور، وأشكال هندسية بألوان زاهية براقة، وكانت هناك برك من المياه الضحلة، تحتوى على النيلوفر (النوفر أو اللوتس)، وأنواع من الأسماك، كما كانت هناك حدائق تغصّ بالأشجار والزهور.

كما يضم القصر كذلك بين جنباته بساتين للخضروات، ومطابخ، ومخازن مليئة بالأطعمة، فضلاً عن مخبز لصناعة الخبز والفطائر، ومصنع لصناعة المشروبات التى كانت شائعة فى ذلك العصر. ويُرجَّح كذلك أنه كانت هناك منطقة بها مَجزر، حيث يتم فيه ذبح الحيوانات التى كانت تأتى إما من المزارع التابعة للقصر، أو من

نحت بارز يُظهر النساء
وهن يحملن الطعام
فوق رؤوسهن.

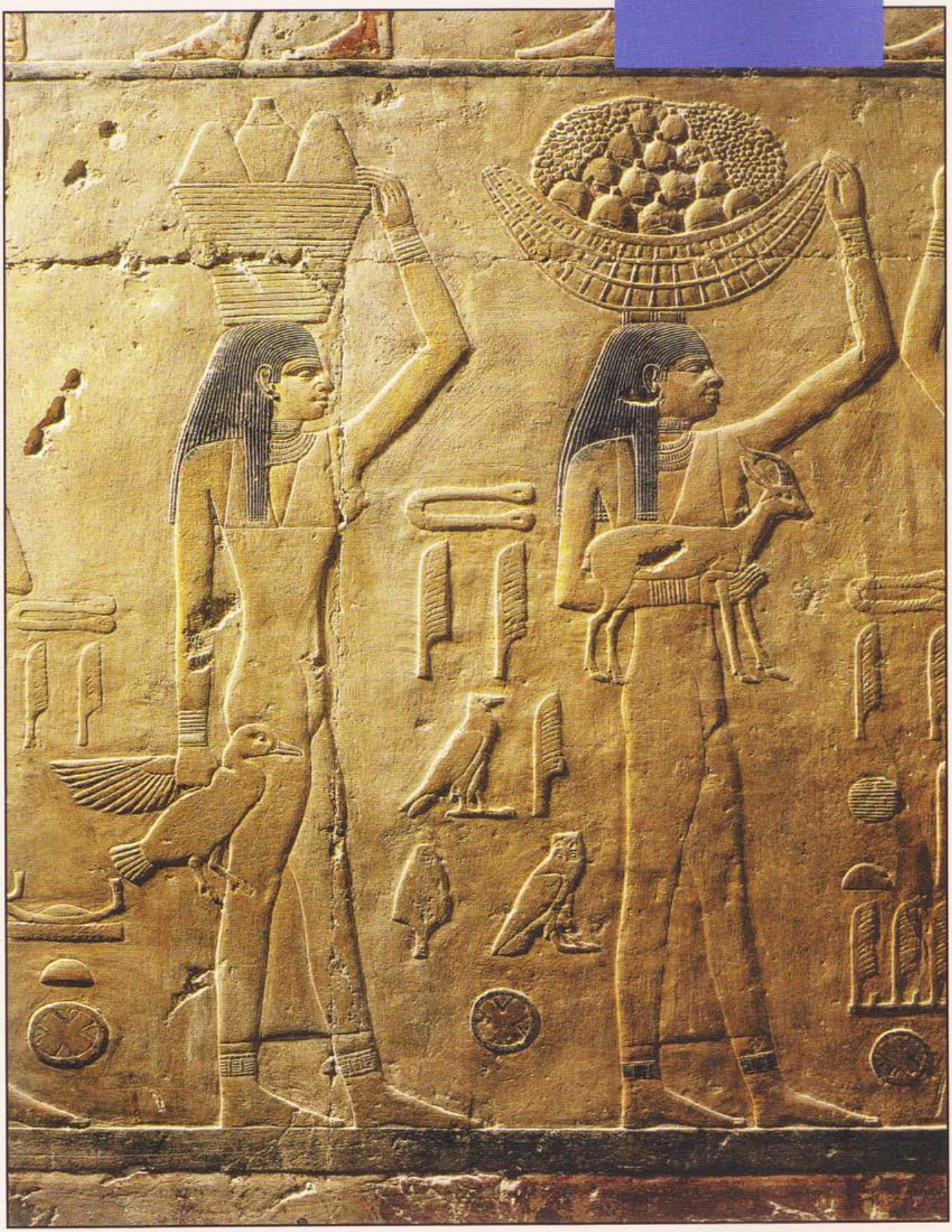

الريف المحيط به، وتقطيعها لإعدادها للطهى، وربما كان هناك أيضًا ورشة لصناعة الفخار لعمل جميع الأوانى التى كانت تستخدم فى إعداد الطعام، وطهيه، وتناوله، فضلاً عن توفير القناديل للإضاءة، والجرار الكبيرة لحفظ المياه، وبعض الأدوات المنزلية الأخرى. ربما كان هناك مكان لتصنيع المعادن، يتمّ فيه تصنيع وإصلاح الأدوات النحاسية التى تُستعمل فى القصر، كما كان هناك أيضًا مغسلة، ومكان لغزل الصوف والكتان ونسجهما لصناعة الملابس.

وكان الخدم يقومون بجميع الأعمال كالعناية بالأطفال، وإعداد الطعام، والطهى، والنظافة، غير أنه فى بعض الأحيان، كانت نساء الأسرة المالكة تشاركن فى صناعة الأقمشة وحياكتها، حيث كان يُنظر إلى أشغال الإبرة على أنها مهمة منوطة بالسيدات.

فترة الدراسة

هناك أدلة من العصور اللاحقة، تفترض أن القصر كان دارًا لجميع نساء وأطفال الأسرة المالكة، بينما كان للفرعون عدد من البيوت التى كان يستخدمها أثناء سفره فى جميع أرجاء القطر، ولقد نما «سنفرو» وترعرع فى كنف أسرة كبيرة ممتدة، مع الملكة «مر- عنخ»، فضلاً عن زوجات الفرعون الأخريات، وإخوته وأخواته، وربما أيضًا،

عدد من العمات والخالات وأولادهن، ولقد ذهب إلى المدرسة مع الصبية الآخرين الموجودين داخل أروقة القصر، وكان يُطلق عليها: دار التعليم، وهناك كان يتلقى دروسًا فى الرسم، والتصوير، والرياضيات، والقراءة، والكتابة، ولا توجد أدلة على وجود معلمين محترفين، تلقوا تدريبات خاصة للقيام بهذا العمل، إبَّان ذلك العصر، ويُعتقد أن الأعمام من الأسرة المالكة، وغيرهم من الأقارب الذكور، هم الذين كانوا يتولون القيام بالتعليم فى هذه المدارس الملحقة بالقصر، وكانت الدراسة تبدأ فى الصباح، كما هو الحال فى وقتنا الحاضر، وكثيرًا ما كانت الدروس تُلقى فى الهواء الطلق عندما يكون الطقس ملائمًا، وكان الصبية يجلسون القرفصاء فى صفوفٍ على الأرض.

وعلى الرغم من أن المصريين قاموا باختراع نوعٍ راقٍ جدًّا من الورق، أطلقوا عليه البردى، وهو مصنوع من نبات البردى، إلا أنه كان باهظ التكلفة فى إنتاجه، ومن ثَمَّ، كان التلاميذ يتدربون على الكتابة باستخدام ألواح خشبية مغطاة بطلاء أبيض، فضلاً عن قطعٍ صغيرةٍ مستويةٍ من الحجارة، والشَّقَف (الفَخَّار). ولقد تعلم «سنفرو» كلاً من الكتابة الهيراطيقية والهيروغليفية، وكان الأولاد يتعلمون الكتابة عن طريق نسخ العبارة والتدرب عليها، والهيراطيقية تضارع الكتابة اليدوية فى وقتنا الحاضر، ودائمًا ما كانت تُكتب من اليسار

كتابة هيروغليفية على جدار إحدى المقابر.

إلى اليمين، وأما الكتابة الهيروغليفية، فكانت تتكون من سلسلة من الرموز والصور، وكانت تُستخدم بصفة رئيسية، فى زخرفة المبانى والنُصُب التذكارية، وكان يتم استعمال ما يقرب من ألف علامة إبان الدولة القديمة، وكانت الهيروغليفية تُكتب من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، أو من أعلى إلى أسفل، وكانت هذه العلامات والرموز تُكْتَبُ بدون استخدام علامات الترقيم أو مسافات بين الكلمات، كما أنه لم تكن هناك حروف علة، وكان بعض العلامات يمثل الأحرف الساكنة، وبعضها يُمثل أصواتًا، وبعضها الآخر يُمثل أفكارًا، وكان المصريون مُغرمين، كذلك، بالتورية واللعب بالكلمات، ومن ثَمَّ، فإن العديد من العلامات كان لها أكثر من معنى، ولم يكن فى وسع معظم

المصريين القدماء قراءة الكتابة الهيروغليفية، إلا أن «سنفرو» قد تعلم على الأقل أساسيات اللغة.

كما تعلّمَ أيضًا اصطياد الحيوانات البرية فى الصحراء، وكيفية صيد الأسماك بالرمح من قارب صغير بالنيل، وقد كان السفر فى ذلك العصر، غالبًا ما يعتمد على مياه النيل أكثر منه على الطرق البرية، ومن ثَمَّ، فقد تم إنشاء قناة لربط النيل بالقصر، وكان «سنفرو» يُبحر فى زواق مصنوعة من الخشب أو البردى فى هذه القناة، كما أنه كان يُشارك فى اللعب مع أصدقائه فى مباريات مثل، شد الحبل والمصارعة بالأذرع، وقد تَمّ العثور على كرات مصنوعة من الجلد؛ مما يُظهر أن الأولاد كانوا يمارسون أنواعًا مختلفة من ألعاب المراوغة، كما هنالك أيضًا، نماذج لمجموعات من الأوتاد الخشبية، كالمستخدمة فى لعبة البولنج الحديثة، يرجع تاريخها إلى هذا العصر، وكان لدى «سنفرو» مجموعة من الألعاب الخشبية المتنوعة، فضلاً عن كلب صيد مستأنس.

ويُرجح أن رداء «سنفرو» فى الصيف كان عبارة عن «كِلتية» أى تنورة قصيرة تصل إلى الركبة، وكان يقوم بربطها حول خصره، ربما كان يرتدى مِئزرًا مثلث الشكل كلباس تحتى، يقوم بربطه هو الآخر، أما فى فصل الشتاء، فيُرجَح أنه كان يرتدى- فضلاً عن ذلك- قميصًا من الكتان، وربما ثوبًا من الصوف أو الجلد، وكان الصندل

الذى ينتعله، مصنوعًا من نبات البردى المجدول، وكان شعره طويلاً إلى حدٍّ ما، ومن ثم، كان يضُمه فى صورة ضفيرة، على أحد جانبى الرأس، ويُرجَّحُ أنه عندما بلغ الثانية عشرة من عمره، تَمّ قص هذه الخُصلة الجانبية من شعره، وهذا العمل يدل على أنه قد شَبَّ عن الطوق، ولم يعد طفلاً صغيرًا.

ومن غير المعلوم عدد المرات التى رأى فيها «سنفرو» أباه، أو مدى الاستعدادات التى قُدمت له كى يُصبح فرعونًا، إلاَّ أنه قد أنفق بضع سنوات من سنى مراهقته، إما ملتصقًا بكهنة المعبد بقصد مواصلة دراساته الأكاديمية والدينية، أو أنه أمضاها فى الجيش لتعلم مهارات القتال، وكيفية قيادة الرجال.

التدريب العسكرى

إبَّان الدولة القديمة، لم تكن هناك حاجة إلى وجود جيش نظامى دائم فى مصر، فقد كان لدى الحُكام المحليين والموظفين الرسميين، جيوش صغيرة، أو فرق من الجنود، مهمتها الحفاظ على النظام، وكان هؤلاء الجنود يعملون أيضًا كقوات شرطة، كما كانوا يقومون بحراسة كبار الموظفين وأُسرهم، وهناك أيضًا أدلة على أنهم كانوا يجوبون الصحراء المحيطة بكل مدينة، فى دوريات لحماية السكان

نماذج خشبية لفرقة من رماة القوس النوبيين، فكثيرًا ما كان يستعين قدماء المصريين بجنود من النوبة الجنوبية (السودان الآن) لتعزيز جيوشهم.

من الغارات التى كان يشنها بدو الصحراء، وكان لدى الملك وقصره كذلك، فرقة من الحرس الخاص، فضلاً عن وجود فرقة خاصة من الموظفين الرسميين الذين كانت تُوكل إليهم مهمة حراسة نساء الملك من حريم القصر، كما كانت هناك أيضًا فرقةٌ من المسؤولين الذين كانت مهمتهم هى إلقاء القبض على هؤلاء الذين اقترفوا بعض الجرائم -مثل التهرب من دفع الضرائب- ومعاقبتهم، كما كان الحُكام المحليون يقومون بالإستعانة بجنود من النوبيين، وكان هؤلاء الرجال، المعروفون بالميجا، مشهورين بقاماتهم الفارعة، وبنيانهم القوى، وكثيرًا ما كانوا يُستخدمون فى استطلاع أنباء العدو ومراقبته، وكرماة للقوس، وكذلك كِفَرق مشاة خفيفة.

تلقى «سنفرو» تدريبه مع حرس القصر، وتعلم كيفية استعمال أنواع مختلفة من الأسلحة، كان من بينها الدبُّوس، وفأس الحرب، والقوس والسهم، والرمح، وعصا الرماية، والدبوس عبارة عن سلاح بسيط مكون من رأس حجرى على شكل دُب، مثبت على قضيب خشبى مُستدق الطرف، إلا أنه مع ذلك سلاح له فاعليته، وهناك العديد من الصور للمصريين وهم يضربون أعداءهم على رؤوسهم بهذه العصا الغليظة.

أما فأس «سنفرو»، فقد كان ذا رأس نحاسية شبه مستديرة، وقد تم

ربطها بمقبض خشبى فى المعدن عن طريق ثقوب ، وكان يُستعمل أيضًا فى المعارك أثناء الاشتباك، ورماحه كانت ذات أسنَّة حادة، مصنوعة من النحاس أو الحجر الصوان (وهو من الحجارة الحادة، شديدة الصلابة)، ومثبتة على هراوات خشبية، وهى مصممة لإلقائها على العدو، وكانت قوسه مصنوعة من قطعة خشبية واحدة مقوسة من كلا الطرفين، وقد شُدَّ عليها وتر من أمعاء الحيوان، أما سهامه، فكانت مصنوعة من نبات الحلفاء، ولها أسنة من حجر الصوان أو الخشب الصلب، ومثبت عليها فى الطرف الآخر ثلاث ريشات، وأما عصا الرماية، فقد كانت معقوفة وكانت تُستخدم بصفةٍ رئيسية فى صيد الطيور.

وإبَّان الدولة القديمة، لم يرتد الجنود الدروع، فقد كانت الحماية الوحيدة المتوفرة لـ«سنفرو»، هى تُرس كبير مستطيل الشكل، مصنوع من جلد البقر المشدود على إطار خشبى، وكان لهذا التُرس مقابض منحوتة فى الإطار، وسيور من الجلد حتى يتسنىَ تعليقه على كتفيه، غير أنه كان فى مأمن تام؛ إذ كان يتلقى تدريبه مع القوات التابعة للقصر، وقد كانوا جميعًا على حذر تام لئلا يصيبوا أحدًا من أفراد الأسرة المالكة.

سنفرو ملكًا

بعد أن ظل الملك «حونى» فى سدة الحُكم لمدة أربعة وعشرين عامًا، وافته المنية سنة 2500ق.م.، وفى الحقيقة، لا نعرف سوى القليل جدًّا عن «حونى»، إلا أن كلاًّ من بردية «تورينو» وثبت الملوك بسقارة يشيران إليه على أنه آخر ملوك الأسرة الثالثة، كما أننا نجد اسمه منقوشًا على قطعة من الجرانيت الأحمر، تمّ العثور عليها فى «فيلة» (بالقرب من أسوان)، وهى تذكر أنه قام ببناء أحد الحصون هناك على الحدود الجنوبية لمصر، غير أنه لم يَتّم التعرف بصورة قاطعة على مكان مقبرته، ولكن يُرجَّح أنه تمَّ دفنه إما فى ميدوم بإقليم الفيوم، أو فى سقارة بالقرب من هرم «زوسر» المدرَّج.

تاج يتخذ شكل رأس صقر من تمثال حورس الذى تمّ العثور عليه فى معبد له فى مدينة هيراكونبوليس - شمال ادفو.

الأسماء الملكية

صار «سنفرو» ملكًا عقب وفاة الملك «حونى»، ويُعتقد أنه قد اعتلى عرش مصر إما فى أواخر سِنى مراهقته، أو أوائل العشرينيات من عمره، ومن ثَمّ، فإن أحد الجوانب المهمة المرتبطة بتتويجه هى إختيار أسمائه الملكية.

وكسائر المصريين الآخرين، فقد تلقى «سنفرو» اسمه الأول عند ولادته، غير أنه عندما أضحى ملكًا، أصبح فى حاجة لأسماء جديدة له، كى يُعبر من خلالها عن هويته كملك، ذلك أن هذه الأسماء الجديدة تمنحه تميزًا عن بقية البشر العاديين، ومن ناحية أخرى، فهى بمثابة انعكاس دقيق لتيجانه وملابسه الرسمية، حيث إنها ترمز إلى مكانته الرفيعة وسلطانه الملكى، وهذه الأسماء كان يصحبها ألقاب

ملكية خاصة، وهى: «حورس ذو السيدتين»، و«حورس الذهب»، و«ملك الوجهين القبلى والبحرى»، و«ابن رع».

لقب «حورس» يصف الملك على أنه تجسيد لحورس، الإله الصقر، الذى كان إله السماء، وكذلك تجسيد للمُلْك الإلهى، ومن ثم، فقد كان ملوك مصر معروفين بأنهم يُمثلون «حورس» حيًّا، أما اللقب الثانى، «ذو السيدتين»، واللتين تمثلهما «وازيت»، الإلهة الكوبرا لمدينة بَتو بالدلتا (تل الفراعين - كفر الشيخ)، و«نخبت»، الإلهة الصقر لمدينة الكاب، بالقرب من الأقصر، حيث كانت هاتان المدينتان مركزين ملكيين مهمين منذ أواخر عصر ما قبل الأسرات فصاعدًا، ويؤكد هذا اللقب على الطبيعة الثنائية لمصر، واللقب الثالث، «حورس الذهب»، يُظهر كذلك الطبيعة الإلهية للملك، وذلك عن طريق ربط اسمه بالذهب، الذى هو أصفر مثل الشمس، وأبدى مثل أجساد الآلهة، ومرة أخرى، يُظهر اللقب الرابع الطبيعة الثنائية لمصر؛ حيث يمثلها رمزان هما، البردى (الوجه القبلى) والنحلة (الوجة البحرى)، وأما اللقب الخامس، «ابن رع»، فهو يُظهر الأصل الإلهى المباشر للملك بصفته ابنًا لإله الشمس.

وفى عصور لاحقة، كثيرًا ما كانت تنعكس هوية الملك الخاصة واهتماماته فى الأسماء التى كان ينتقيها الحاكم الجديد لنفسه، فلقد

اختار «سنفرو» لقب «رب ماعت» عوضًا عن اسميه «حورس»، و «ذو السيدتين»، ولا نعلم إذا ما كان قد احتفظ باسمى «حورس الذهب»، أو «ملك الوجهين القبلى والبحرى»، ومن الجائز أنه استخدم هذين اللقبين فى حد ذاتهما، غير أن أكثر هذه الأسماء التصاقًا به هما «ابن رع»، و«سنفرو»، الاسم الذى ظل معروفًا به.

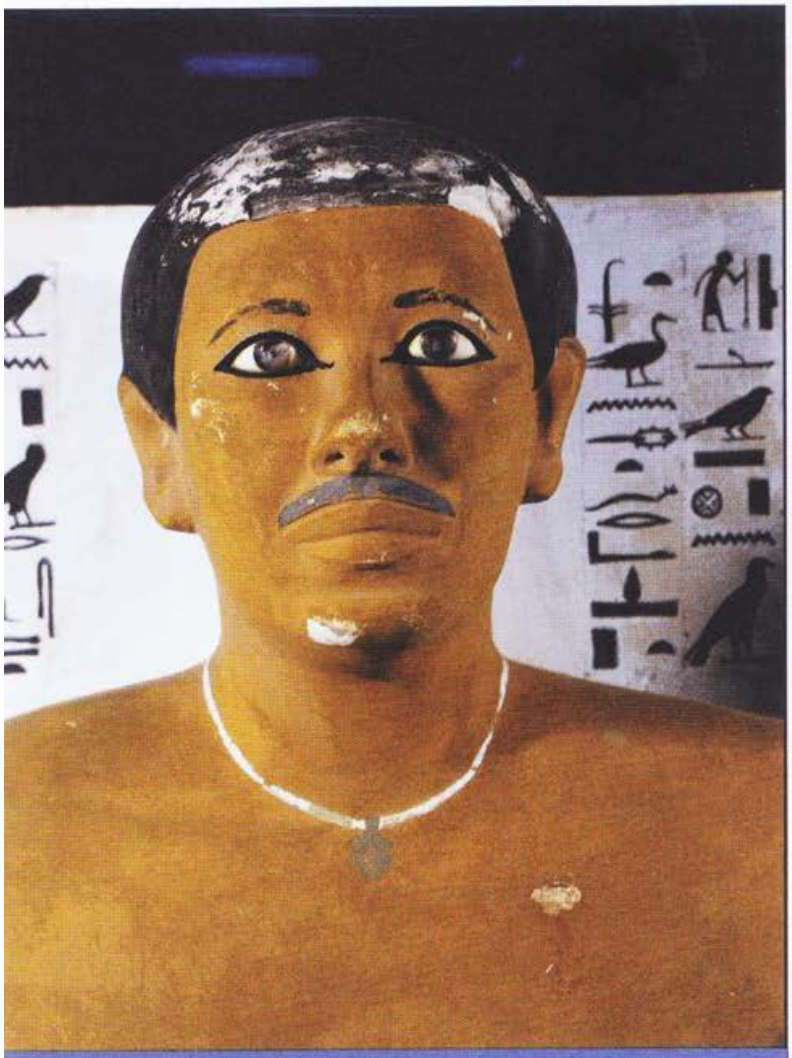

الأمير رع حُتِب، ابن سنفرو.

الزيجات الملكية

كانت أهم زوجات «سنفرو»، والتى تزوجها قبل اعتلائه العرش، أميرةً تُدعى «حِتب حِرس»، كما كان لـ«سنفرو» زوجات أخريات، بعضهن كن بنات لنُبلاء مصريين، ومن المعروف أنه كان لديه على الأقل ثلاثة أبناء، هم: «خوفو»، و«نِفر ماعت»، و«رع حُتِب»، وكذلك

العديد من البنات، من بينهن واحدة تُدعى «ميرتيتس».

لم يكن لدى قدماء المصريين حفلات زفاف على النحو الذى نعرفه اليوم، وليست هناك أية أدلة على أنهم كانوا يقيمون مراسم زواج من أى نوع، فمن أغنى الأغنياء إلى أفقر الفقراء، كان الزواج يتم ببساطة بين اثنين قررا أن يؤسسا بيتًا ويعيشا معًا، وكثيرًا ما كان الآباء هم الذين يقومون بالترتيب لهذا الزواج، ذلك أنهم كانوا يسعون إلى اختيار أفضل من يشارك أولادهم حياتهم، وكثيرًا ما كان الأقارب، أولاد الأعمام والأخوال ونحوهم، يتزوجون من بعضهم البعض، حفاظًا على ممتلكاتهم داخل إطار الأسرة.

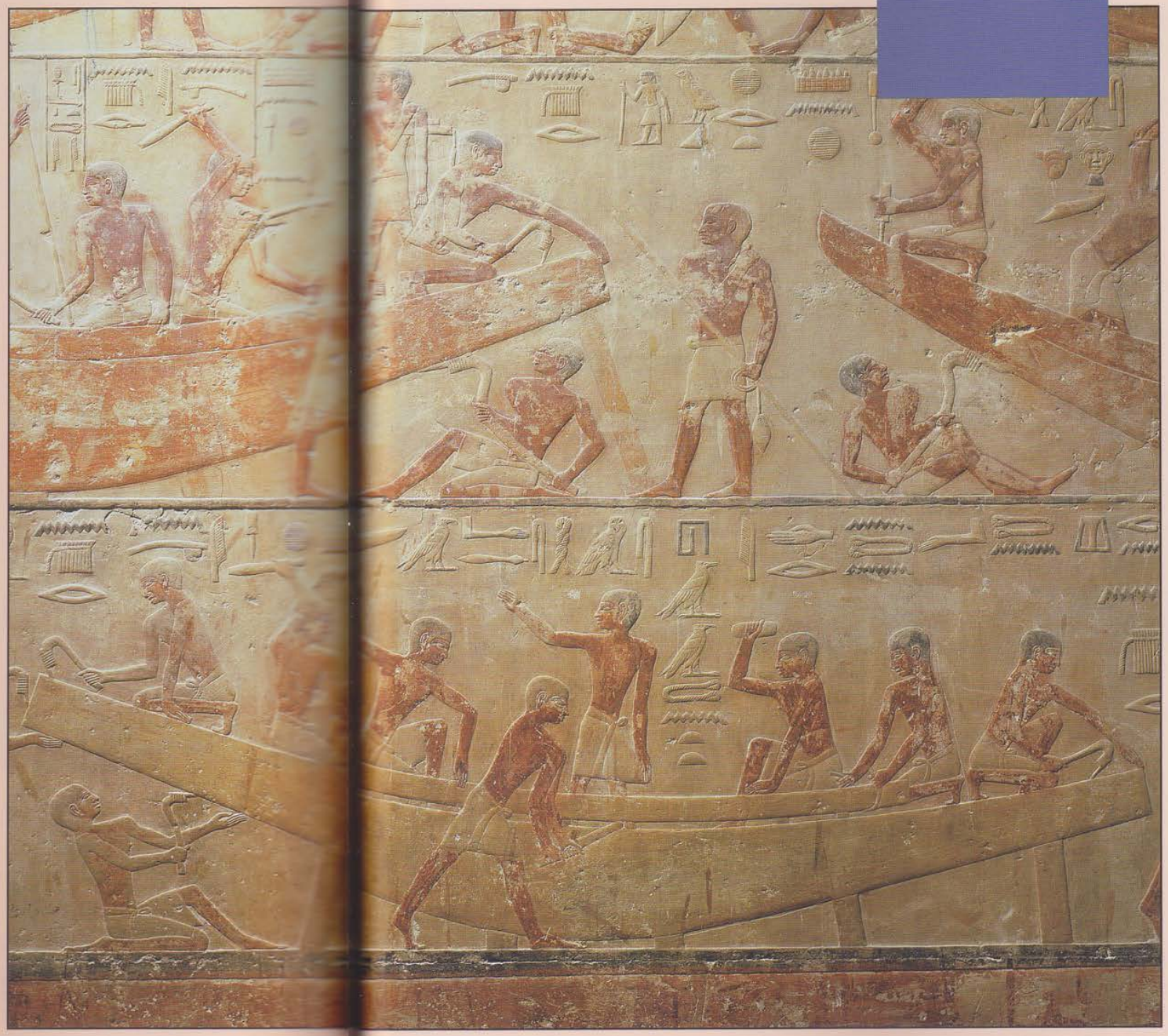

نحت بارز ملون لرجال وهم يعملون فى مرفأ مصرى لبناء السفن.

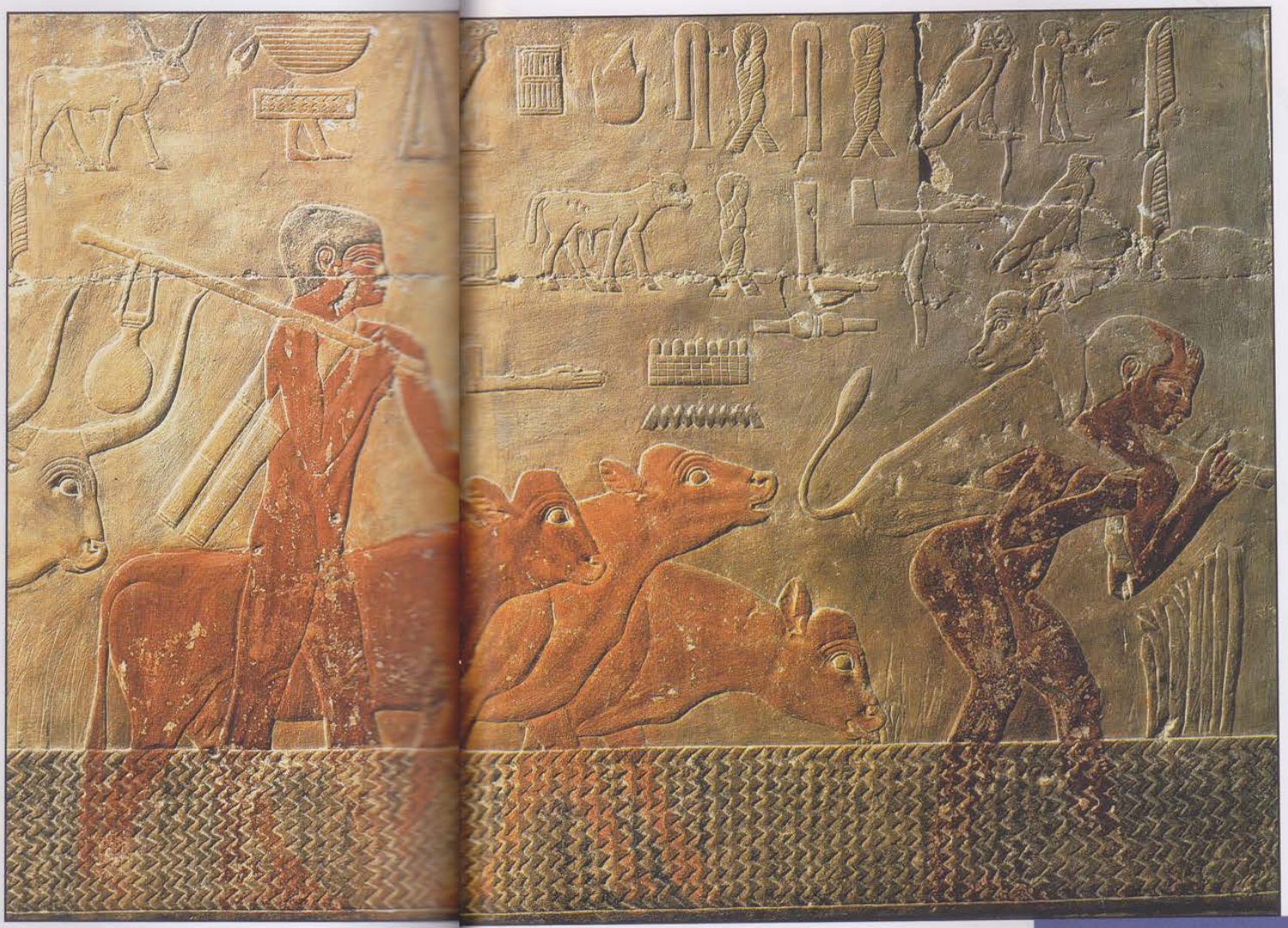

فلاحون مصريون يسوقون الماشية عبر مجرى مائى.

ولأنه غالبًا ما كان للنساء ممتلكاتهن الخاصة، فكثيرًا ما كان الزوجان الثريان يقومان بالتوقيع على عقود مكتوبة تقرر الكيفية التى يَتم بها تقسيم الممتلكات، وما يمكن أن يحدث إذا ما قررا الانفصال عن بعضهما

البعض، فإذا ما حدث ذلك، فإنه إما يُرَدُّ للمرأة أية ممتلكات جاءت بها عند زواجها، أو تُعَوّض عن ذلك بشكلٍ أو بآخر.

وتُظهر الأدلة المستقاة من الشِعر، والرسوم التى توضح الحياة اليومية، أن المصريين كان لديهم اعتقاد بأن الزواج وإنجاب الأطفال هو المسلك الطبيعى للحياة، والسبيل لسعادة الناس، والمصريون العاديون كانوا عادةً لا يمارسون زواج الأقارب، وربما كان هذا الزواج شائعًا فى الأسرات الملكية فقط؛ فهناك الكثير من الأدلة التى تُظهر أن الفراعنة كثيرًا ما كانوا يتزوجون بأميرات الأسرة المالكة.

والزوجة الرئيسية للفرعون، التى كان يُطلق عليها: قرينة الملك العظيمة، كثيرًا ما كانت تلعب دورًا مهمًّا فى العديد من الاحتفالات

الفلاحون وهم يكدسون أكوام التبن.

الرسمية للدولة، وكذلك الطقوس والمراسم الدينية، ويُرجَّح أن الأميرات من الأسرة المالكة، كن يتلقين تدريبات منذ نعومة أظافرهن، على كيفية القيام بمثل هذه المهام، غير أنه من الواضح، أن أحد الأدوار الرئيسية

لزوجة الملك هو إنجاب وريث للفرعون. وهناك مزايا عديدة لزواج الفرعون بنساء من أفراد الأسرة المالكة، فالأولاد الذين يولدون من مثل هذه الزيجات تتضاعف فرصتهم فى تولى الملك، ومن ثم تكون أحقيتهم فى اعتلاء العرش أكثر تعزيزًا، فلقد كان لـ«سنفرو» وزوجته

«حِتب-حِرِس» ابن يُدعى «خوفو» ومالبث أن ورث «خوفو» العرش عن أبيه. كما ساعدت هذه الزيجات كذلك، على التصدى للمشكلات الناشئة عن زواج الأميرات المصريات من أفراد خارج العائلة المالكة، حيث يكون أزواجهن، إما من صفوف طبقة النبلاء المصريين، أو من عائلات مالكة أجنبية؛ فقد يحاول هؤلاء الأزواج المطالبة بعرش مصر.

ومن ثم، فإن الإقدام على مثل هذه الزيجات هو سبيل آخر لوضع الملك وعائلته فى مكانة رفيعة، فوق بقية رعاياه المصريين.

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل

الاستعداد للحياة الأخرى

منذ فترة مبكرة من توليه الحُكم، قرر «سنفرو» أن يتبع التقليد الذى بدأه جده «زوسر»، من الأسرة الثالثة، وذلك ببناء هرم كى يُدْفَن فيه، ويُعَد «سنفرو» أعظم بناة الأهرامات فى تاريخ مصر، ولأسباب غير واضحة، فقد انتهى به الأمر أن قام ببناء ليس هرمًا واحدًا، بل ثلاثة أهرامات إبّان فترة حياته، وعلى الرغم من أننا لم نعثر على أثرٍ لجثمان «سنفرو»، فإنه أنه يُعتقد أنه ربما تَمّ دفنه فى آخر هرم قام ببنائه، ألا وهو الهرم الأحمر بمنطقة دهشور.

وقد قام «سنفرو» باستكمال أول هرم فى منطقة ميدوم، التى تقع على مقربة من مصب نهر الفيوم، إلا أنه من غير المعلوم لماذا وقع اختياره على هذا المكان وهو على مسافة بعيدة إلى الجنوب من المواقع السابقة لدفن الملوك فى منطقة سقارة، غير أنه يُرجَّح أن «سنفرو» كان مغرمًا بهذه المنطقة، وأنها كانت بالفعل مكانًا لأحد قصوره.

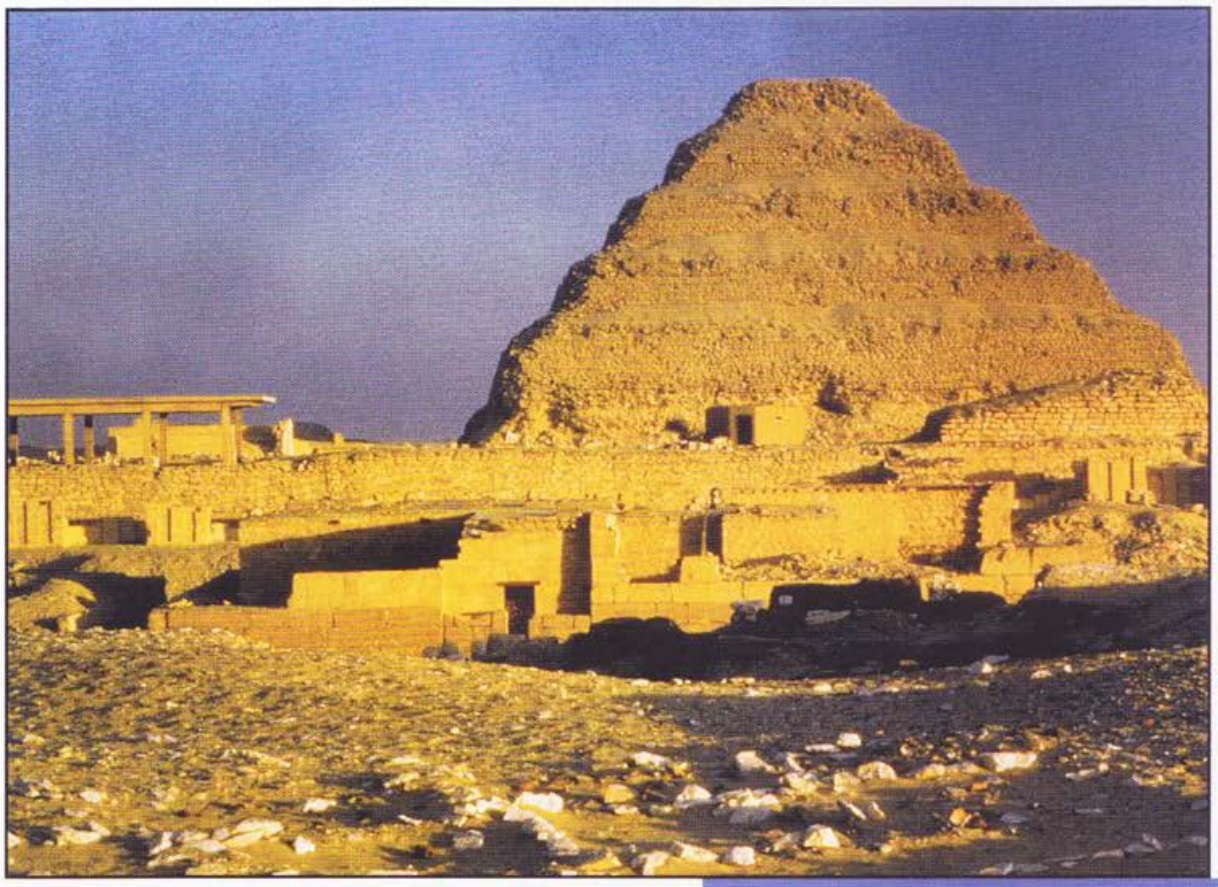

هرم سقارة، وُمَجمع المعابد المحيطة به، وهو أول الأهرامات والذى قام زوسر ببنائه.

وإبَّان الدولة القديمة، كان الفراعنة يُدفَنون فى منطقة يُطلق عليها الآن: مدينة الموتى بممفيس، وهى تقع على امتداد الصحراء، غرب مدينة القاهرة فى الوقت الحاضر. عندما نتحدث عن الأهرامات، فمن المهم أن نتذكر أنها لم تكن مجرد بنايات معزولة قائمة بذاتها، ذلك أن كل هرم منها كانت تحيط به مدينة صغيرة، وكان مجمع الهرم هذا يشتمل على عدد من المعالم، فكان هناك بالطبع الهرم الرئيسى، والمعبد الجنائزى المُلحق بقاعدة الهرم، حيث كان الكهنة يقومون بتلاوة الصوات، وتقديم قرابين من الطعام والشراب إلى الـ «كا»، أو روح الملك المتوفى، بصورة يومية، كما كان هناك أهرامات ثانوية أصغر حجمًا تحيط بالهرم الرئيسى، حيث كان

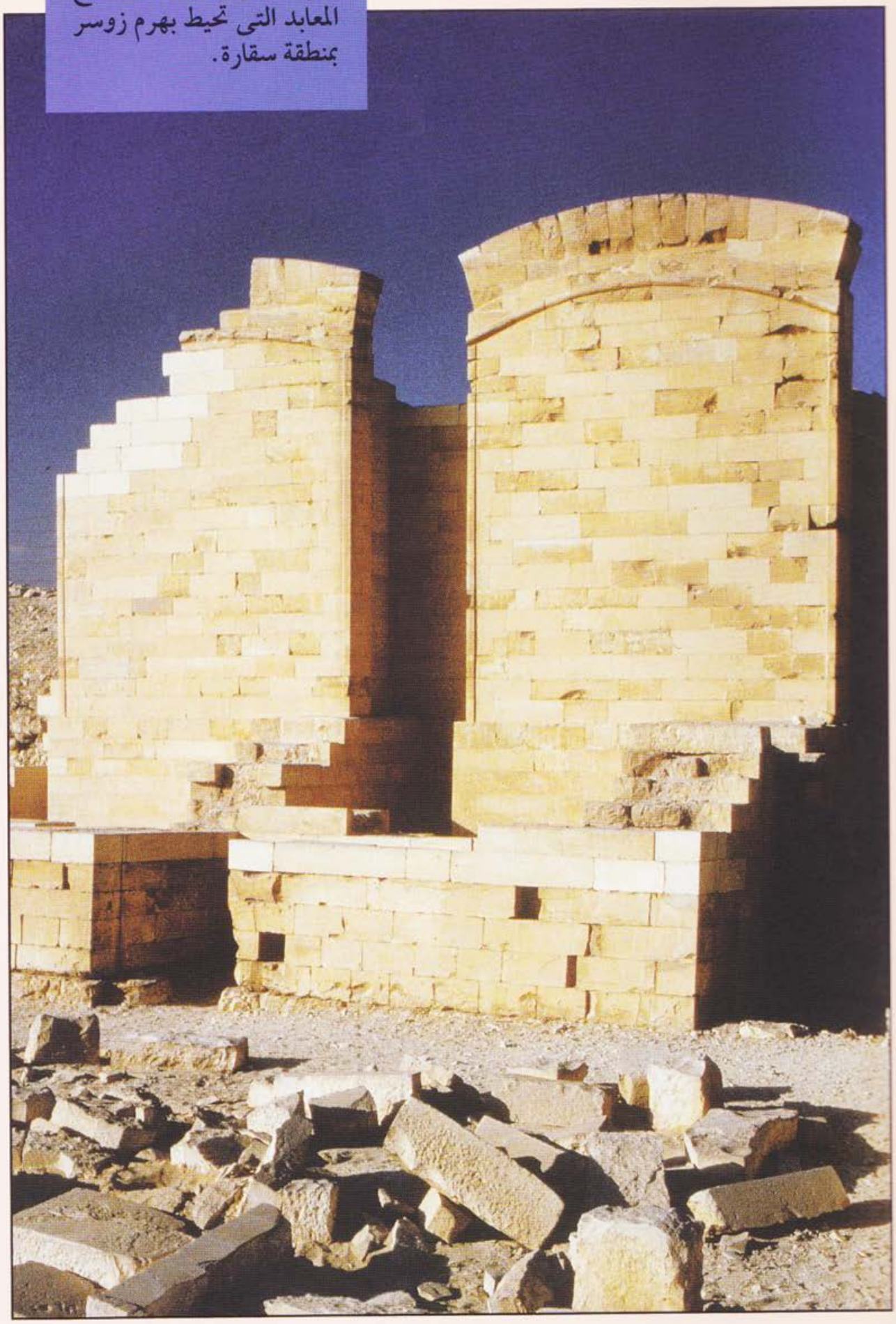

صورة مُقَربه لأطلال مُجمع المعابد التى تحيط بهرم زوسر بمنطقة سقارة.

يتَمّ فيها دفن زوجات الملك. كما كان يَتمُّ تشييد معبد الوادى على ضفة قناة يَتمُّ حفرها خصيصًا من نهر النيل، حيث يَتمُّ بواسطتها نقل جثمان الملك المتوفى من العاصمة: منف، وفضلاً عن ذلك، كان هذا المعبد مقرًّا لعدد من تماثيل الملك المتوفى، حيث كان يتسنى لهؤلاء الذين لا يُسمح لهم بدخول المعبد الجنائزى، أن يواصلوا تقديم القرابين إليه، وقد تمت إقامة طريق معبدة لربط معبد الوادى بالمعبد الجنائزى، وكانت هناك صفوف من مقابر على هيئة مصاطب، وهى مبانٍ مستطيلة الشكل مأخوذة من الكلمة العربية مصطبة، وهى تعنى مقعد أو دكة، حيث كان يتم فيها دفن الأفراد الأقل أهمية من العائلة المالكة، ورجال البلاط، وموظفى الحكومة، وعادة ما كانت تُمنح هذه المقابر كهدايا من قبل الملك، ويُرجح أنه كانت توجد منافسة شديدة بينهم، ذلك أن معظم الناس كانوا يرغبون فى الاقتراب من الملك بقدر المُستطاع، كما كانت هناك أيضًا قرية يقطنها جميع الكهنة والموظفين الذين كانوا يقومون على رعاية وإدارة الشئون اليومية للمعابد، كما كان يوجد قصر صغير لإقامة الملك عند حضوره لتفَقُد أعمال البناء والتشييد.

قام «سنفرو» بتكليف شخص ليعمل ناظرًا على جميع أعمال الملك، وذلك عند بنائه لكل هرم من أهراماته، وكانت تُناط بهذا

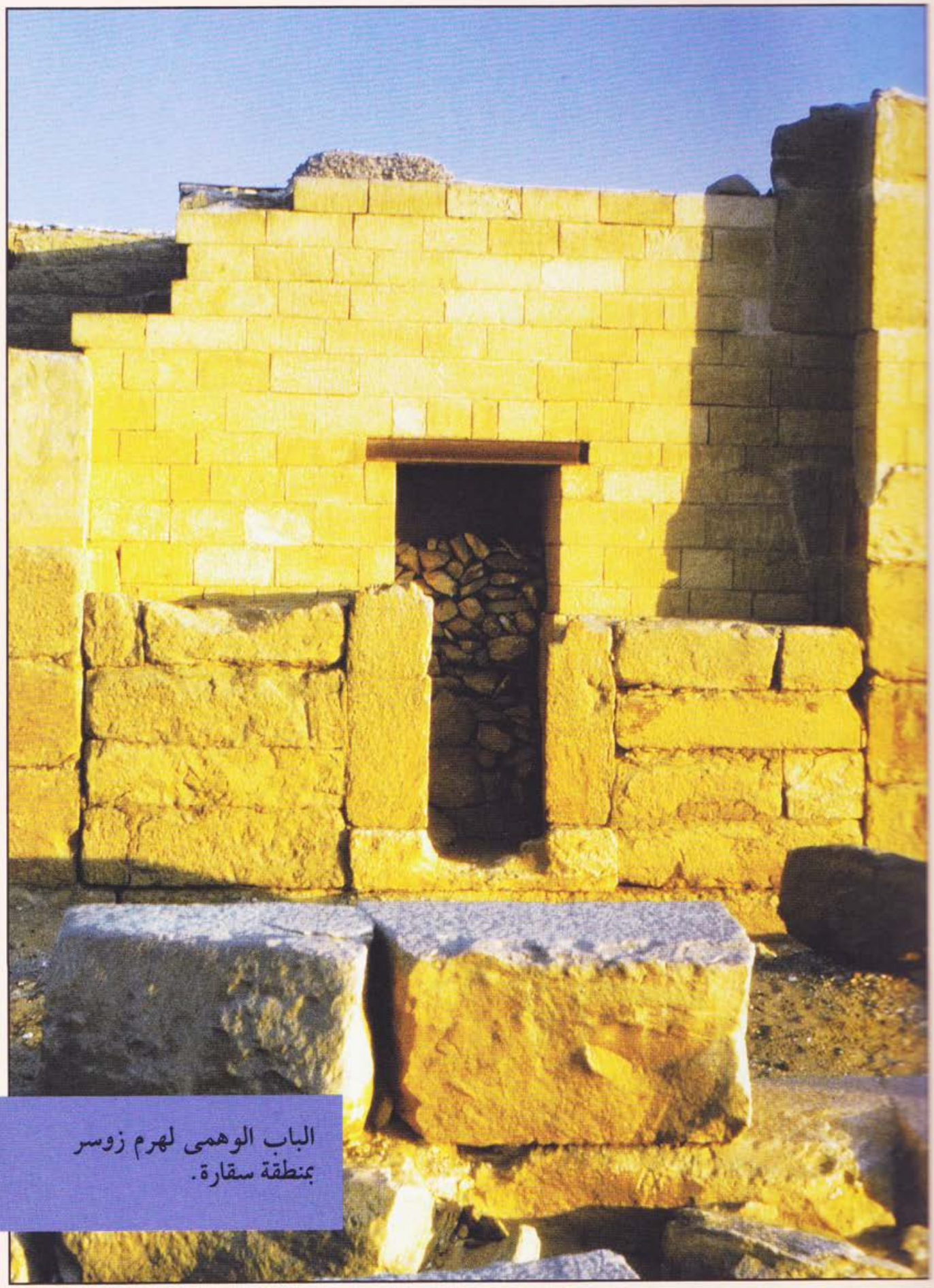

الباب الوهمى لهرم زوسر
بمنطقة سقارة.

الشخص مسئولية تنظيم جلب الكتل الحجرية من المحجر، وهى عبارة عن كتل من الحجر الجيرى يتم استخراجها من المحاجر المحلية، وكانت أجود أنواع الكتل الحجرية يتمُّ جلبها من أحد المحاجر الكبرى بمنطقة طُرة، على الضفة الشرقية من النيل بالقرب من منف، ثم يتم تسويتها وصقلها حتى تصبح ملساء ذات بريق أخاذ، وذلك قبل استخدامها كغلاف خارجى للأهرامات، وكبطانة لجدران الحجرات من الداخل.

ولا يمكننا أن نتأكد من الكيفية التى يتمُّ بها اقتلاع الحجارة من جوانب التلال، إلا أن أكثر الطرق احتمالا، تتمثل -أولاً- فى تحديد مساحات مربعة الشكل على جانب الصخرة، أو سطحها العلوى، ثم يتمُّ الحفر حول هذه الكتل التى سبق تحديدها، وذلك باستخدام أدوات حجرية صلبة، ربما تكون مصنوعة من الحجر الصوان، وعندما يتمُّ فصل معظم الجوانب من سطح الصخرة، يتم حينئذ رفع هذه الكتل الحجرية باستخدام عتلات مصنوعة من قوائم خشبية. وثمة نظرية أخرى تقول بأنه كان يتمَّ حفر أخاديد صغيرة حول جميع الجوانب المكشوفة من الكتلة الحجرية، وذلك باستخدام أزاميل نحاسية تُمسَك باليد ويتمَّ الطرق عليها بمطارق من الحجر الصلب، ثم يتم حشر أسافين خشبية فى هذه الأخاديد، وتُغْمَرُ بالماء، مما يجعل الخشب يتمدد، ومن

ثم تنفلق القطع الحجرية عن سطح الصخرة.

وبعد ذلك يتمُّ سحب هذه الأحجار إلى خارج المحجر، ونقلها بواسطة مزالج خشبية، وما إن تصل الأحجار إلى موقع الهرم، إما بسحبها على الأرض أو إحضارها بواسطة مراكب عبر النهر، حتى يتم تسوية جوانبها وحوافها باستخدام الأزاميل، ثم يوضع كل حجر مكانه.

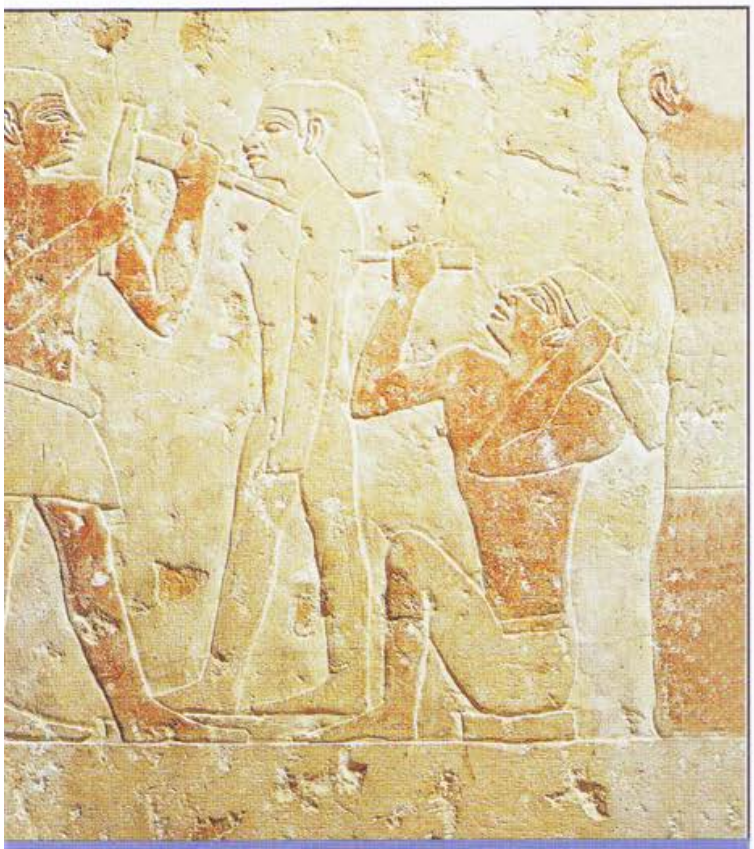

نقش قليل البروز يصّور النحاتين وهم يزاولون عملهم فى إبداع نحت جدارى قليل البروز.

يدور جدل كثير الآن حول الكيفية التى تم بها بناء الأهرامات، إلا أن الدراسات الأثرية التى تُجرى على الهرم المُنكسر بدهشور تُظهر أنه قد تم بناء الهرم مباشرة على رمال الصحراء، ومن ثم فقد أدى الثقل الهائل للأحجار إلى تحرك الرمال من مكانها وهبوطها، مما أسهم دون شك فى تصدع المبانى، وأما الهرم الأحمر، فقد وضعت له فى البداية حصيرة من الأساسات المكونة من طبقات من الحجر الجيرى الأبيض.

إن أكثر الطُرق التى يُرجَّح أن تكون قد استُعمِلت فى التشييد،

هى تلك التى تتمثل فى جذب الأحجار، ودفعها إلى أعلى بواسطة مَمرٍ منحدرٍ أو سلسلةٍ من هذه الممرات المنحدرة التى تم بناؤها على واجهة الهرم، وهناك عدة نظريات متباينة تتعلق بنوعية المَمَّر المنحدر المستخدم، وهى تشتمل إما على مَمر واحد منحدر باستقامة على أحد أضلاع الهرم، أو على مَمَّر حلزونى منحدر بمحاذاة أضلاع الهرم الأربعة، أو على مَمَّر منحدر متعرج عند أحد أضلعه، أو ربما مزيج من بعض هذه الأفكار، وكانت هذه الممرات المنحدرة مصنوعة من رقائق من الحجر الجيرى وأحد أنواع الجص التى تؤدى إلى تماسك هذه الرقائق مع بعضها البعض.

وكانت الكُتل الحجرية، كل منها على حدة، يتم سحبها إلى أعلى المَمَّر المنحدر بواسطة مجموعة من الرجال يمسكون بحبال قد تم ربطها حول هذه الصخور، وكذلك ربما كان يتم دفعها من أسفل، ويُرَجح أن هذه الكُتل الحجرية كانت توضع على قضبان خشبية (على غرار السكك الحديدية) يتم تشريبها بكميات وفيرة من المياه كى تصبح زلقة، ثم توضع الأحجار بعد ذلك فى طبقات أفقية، يكون الحجر الخارجى منها ذا واجهة تم نحتها بانحدار على امتداد حافته، ويكتمل بناء الهرم بوضع حجر واحد هرمى الشكل، يُعرف فى وقتنا الحاضر بحجر القمة، أو قمة الهرم.

لماذا بناء الهرم؟

إن أول أسباب بناء الأهرامات وأوضحها جميعًا هو أنها تمثل علامةً ملحوظة وهائلة عن مدى ثراء الفرعون وسلطانه، فعندما قام «سنفرو» ببناء أهراماته، كانت بمثابة أكبر مبانٍ حجرية صنعها الإنسان فى العالم.

وكذلك كان هناك اعتقاد بأن جثمان الفرعون سوف يظل بمأمن إلى الأبد عند إخفائه فى هرم، وأحد المعتقدات المهمة لدى المصريين، والتى تتعلق بالحياة الأُخرى، يتطلب أن يظل جثمان الملك الذى تم تحنيطه، دون مساس على الأرض، ومما يثير الأسى أن الأمر لم يكن على هذا النحو، ذلك أنه ما لبثت أن تعرضت جميع الأهرامات لأعمال السطو والنهب عقب إتمام مراسم الدفن، ومن المرجح أن يكون ذلك من قبل هؤلاء العمال الذين ساعدوا فى بنائها فى المقام الأول!

وكذلك كانت الأهرامات تخدم عدة أغراض دينية متنوعة، فقد كان لدى المصريين القدماء عدد من المعتقدات الدينية، والأساطير المختلفة التى كانت تحكم حياتهم. وتحكى إحدى الأساطير الدينية المتعلقة بالخلق عند المصريين أن العالم نشأ - أول ما نشأ - من المياه التى كان يُطلق عليها «نن» وخرج منها تل أو ربوة، وعلى هذه الربوة ولدت الشمس فى هيئة إله الشمس «رع»، وهكذا بدأ النهار، ويرجح أن الأهرامات ربما كانت تمثل هذه الربوة.

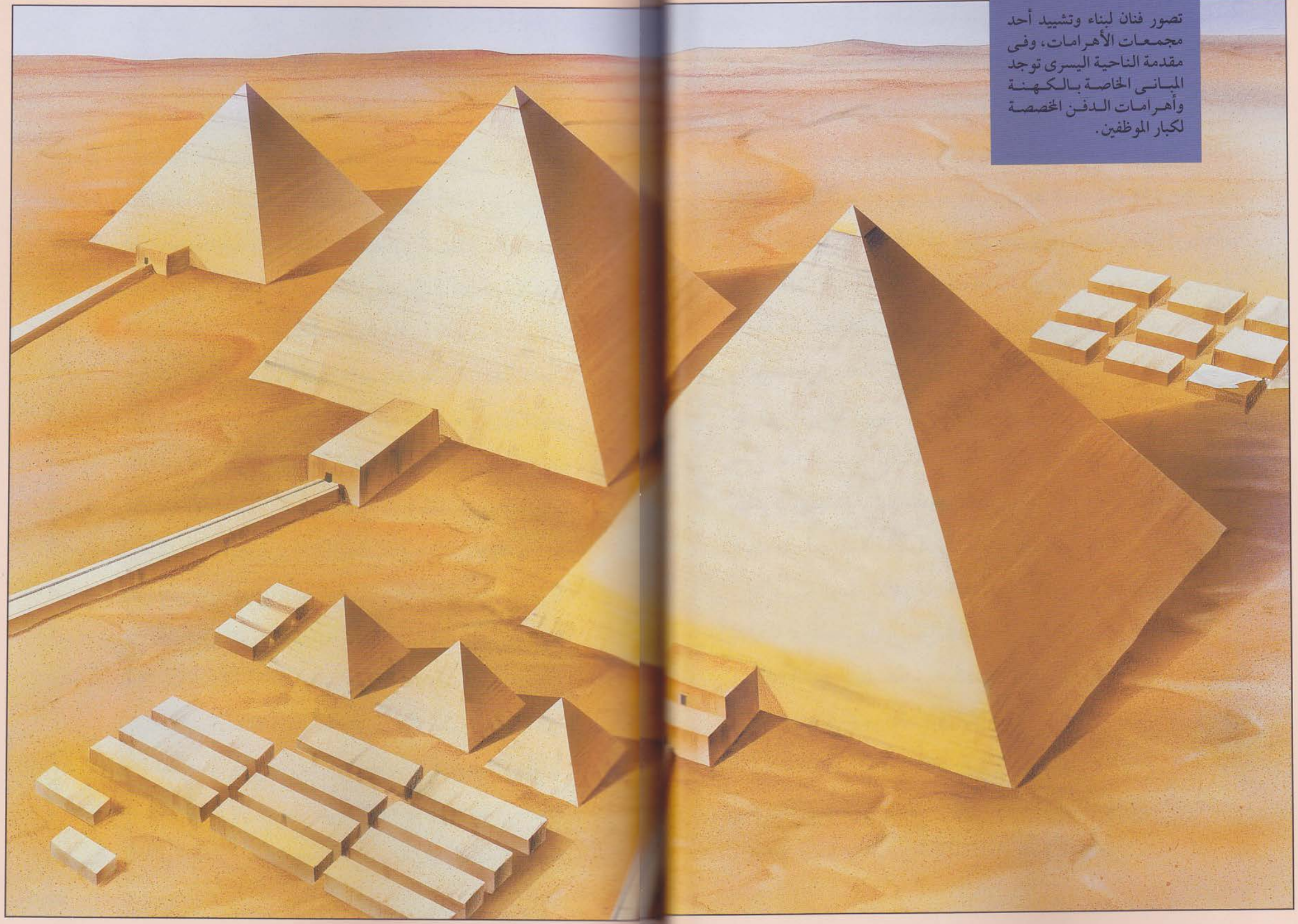

تصور فنان لبناء وتشييد أحد مجمعات الأهرامات، وفى مقدمة الناحية اليسرى توجد المبانى الخاصة بالكهنة وأهرامات الدفن المخصصة لكبار الموظفين.

إن الهرم الأول، الذى تم بناؤه إبان الأسرة الثالثة من قِبل الملك «زوسر» (2600-2581ق.م)، هو عبارة عن سلسلة من الدرجات. ويُعتقد أن القصد من ذلك هو أن يصبح الهرم بمثابة دَرَج عملاق للفرعون كى يصعد عليه إلى السماء، مما يمكنه أن يصير نجمًا، وأما الأهرامات الحقيقية، ذات الجوانب المائلة، فقد كان لها قمة هرمية، وهى عبارة عن حجر ضخم يُشكل القمة المدببة للهرم، وكثيرًا ما كانت هذه القمم مكسوة بالذهب، فقد كان هنالك اعتقاد بأن الأهرمات تمثل أشعة الشمس المائلة، وثمة صورة أخرى لهذه الفكرة، ألا وهى أن الهرم يمثل أعلى شىء، ومن ثم فهو أول ما يستقبل أشعة الشمس ويُحيِّيها مع بزوغ كل صباح، وأكبر الأهرامات على الإطلاق هو ذلك الذى قام ببنائه «خوفو»، ابن «سنفرو»، وهو معروف بالهرم الأكبر، وقد تم بناؤه بالجيزة، ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة ما يزيد قليلاً عن 230 مترًا، وارتفاعه يربو على 146 مترًا، ويشغل الهرم مساحة ثلاثة عشر فدانًا تقريبا.

وإبّان الدولة القديمة، كان هناك اعتقاد بوجود ثلاثة أشكال من البعث متاحة للفرعون، وهى ترتبط جميعها ببناء الأهرامات، أولها ذو صلةٍ بفكرة أن الملك هو تجسيد حى للإله «حورس» الذى يجعله يمضى إلى العالم السفلى الذى يحكمه «أوزيريس»، وثانيها، ذو صلة

بإله الشمس «رع»، الذى يمنح الحياة للملك المتوفى مع بزوغ كل صباح، ومن ثم يسافر مع الشمس فى سفينة عبر السماء، ويختفى بحلول الليل، ثم يظهر من جديد فى صباح اليوم التالى، وأما ثالثها ففيه يصعد الملك إلى السموات كل ليلة كى يلحق بالنجوم، إلاّ أنه يَلزم هرمه أثناء النهار، كى يتلقى الصلوات والقرابين التى تقدمها الروح أو «كا» والتى يمثلها الكهنة المسئولون عن الهرم.

وبحلول الدولة الحديثة، اختفت عملية دفن الملوك فى أهرامات، ففى ذلك الوقت اختار الفراعنة -عوضًا عن ذلك- أن يكون لهم مقابر سرية فى وادى الملوك بالأقصر، وكان هناك اعتقاد بأنه إبّان الدولة القديمة كانت الأهرامات تُبنى للملوك وعائلاتهم فحسب، غير أن الحفائر الأخيرة فى منطقة الجيزة، مقر الهرم الأكبر لـ«خوفو»، قد أظهرت أن العُمال الذين قاموا ببناء الأهرامات، كانوا أحيانًا يقومون كذلك ببناء عدة أهرامات أعلى المقابر الخاصة بهم، وهناك كذلك نماذج من الدولة الحديثة، من قرية تُدعى دير المدينة، وهى لأناس عاديين من غير ذوى النفوذ أو السُلطة، إلا أنهم قاموا ببناء أهرامات لهم فوق مقابرهم.

مشروعات البناء

احتاج «سنفرو» إلى إمدادات ضخمة من الأخشاب لبناء المزيد من السفن، وكذلك لتشييد القصور والمعابد، وكانت لبنان تشتهر بأخشابها ذات الجودة العالية، ولاسيما خشب الأرز. وفى نفس العام الذى أرسل «سنفرو» جيشه إلى النوبة الجنوبية (السودان الآن)، قام بإرسال حملةٍ إلى لبنان لشراء الأخشاب، ويُسجل حجر «باليرمو» بناء الحائط القبلى والبحرى الذى يُطلق عليه «بيوت سنفرو»، والذى يُرجَّح أنه كان بمثابة الأساسات لقصر ملكى، كما يسجل إحضار أربعين سفينة مُحَمَّلة بخشب الأرز، وقد تمت الاستفادة من هذه الأخشاب بصورة جيدة.

ونظرًا لظروف طقس مصر الذى يتسم بالجفاف الشديد، وطبيعة الرمال التى تحفظ ما بها من أشياء، فقد اكتشف علماء الآثار بالفعل بعض نماذج للقوارب الخشبية التى تمت صناعتها فى

المركب الجنائزى، مكتملا بمجاديفه، وهو يرجع إلى الملك خوفو، ابن سنفرو، وقد تم اكتشافه سنة 1954م بالجيزة.

ذلك العصر باستخدام هذه الأخشاب، وأحد أشهر هذه المراكب هو عبارة عن مركب تجديف ضخم مصنوع من خشب الأرز تَمّ العثور عليه بجوار الهرم الأكبر لخوفو بالجيزة. ففى سنة 1954م، قام عالم آثار مصرى يُدعى كمال الملاخ، بكشف النقاب عن حفرة ضخمة مستطيلة مغطاة بألواح حجرية، وعند إزالة أحد هذه الألواح، تَمّ الكشف عن فجوة ضخمة تحتوى على ألواح خشبية طويلة، وحبال، وحصير، ومجاديف، وكان هذا بمثابة برهان على وجود بقايا مركب تم تفكيكه بعناية، وقد استغرق الأمر عدة سنوات، من فريق المرممين الذين كانوا يعملون تحت إشراف الحاج أحمد يوسف مصطفى، لإعادة تجميع المركب الذى تم عرضه أخيرًا للجماهير فى سنة 1971م.

وقد تم بناء المركب من ألواح سميكة من خشب الأرز، التى تُربط ببعضها البعض بحبال من الكتان، ولا يوجد بالمركب صارٍ ولا

شراع، بل يدفعه اثنا عشر مجدافًا، خمسة منها على كل جانب من جانبى المركب، ومجدافان ضخمان فى مؤخرة المركب، حيث يُستخدمان لتحديد اتجاهه، وتوجد على ظهر المركب، مظلة خشبية صغيرة عند المقدمة لحماية الربان أو قائد المركب من حرارة الشمس، وتوجد عند منتصف ظهر المركب قُمْرة (كابينة) رئيسية ضخمة تنقسم إلى حجرتين، وهى محاطة بإطار من الأعمدة الخشبية التى تحمل مظلة مصنوعة إما من الكتان أو من حصير الحلفاء للوقاية من الشمس، كما يحتوى المركب كذلك على مَعبر، وهو عبارة عن لوحٍ خشبى يتم مده بين المركب والبر لتيسير الصعود والنزول، ويبلغ طول المركب 43 مترًا تقريبًا، وأغلب الظن أنه يشبه تمامًا ذلك الذى قام ببنائه «سنفرو» وتم وصفه فى حجر «باليرمو».

ركز «سنفرو» جهوده على زيادة مساحة العاصمة فى منف، فقد قام ببناء قصر جديد شاهق له ولعائلته، وفى العام التالى لبناء سفينته الكبيرة، تبقى لديه كميات كبيرة من خشب الأرز تكفى لبناء أبواب خشبية ضخمة لبوابات قصره، ويُسجل حجر «باليرمو» عن هذا القصر المشيد «فليرتفع تاج «سنفرو» الأبيض على البوابة الجنوبية، وليرتفع تاج «سنفرو» الأحمر على البوابة الشمالية».

هرم ميدوم وقد تحول من هرم مدرج إلى هرم حقيقى ذى جوانب مائلة.

هرم ميدوم

أصبح لدى «سنفرو» الآن ما يكفى من الرجال والعتاد للمضى قُدمًا فى تشييد هرم بميدوم، وهناك اعتقاد سائد لدى بعض علماء الآثار بأن «حونى» هو الذى شرع أصلاً فى بناء هرم ميدوم لأجله هو شخصيًّا، إلا أنه لم يتم العثور على مقبرة لـ«حونى»، غير أن الاسم القديم لميدوم كان «سنفرو يدوم»، كما تَمّ العثور على اسم «سنفرو» مكتوبًا على كِسر صغيرة من الحجارة كانت بمثابة تعليمات موجهة للعمال فى الموقع، ومن ثم فإنه يبدو من المُرَجَّح أنه هو نفسه الذى شرع فى بناء الهرم منذ البداية.

نحت بارز يُظهر العمال وهم يقومون بنسج وصناعة البردى.

لقد بدأ ميدوم كهرمٍ مُدَرّجٍ على غرار ذلك الهرم الذى قام ببنائه الفرعون «زوسر» فى منطقة سقارة، إلا أنهَّ إبان النصف الأول

من فترة حكم «سنفرو»، كان قد تمَّ بناء الدرجات الخمس الأولى، من السبع درجات المقدر بناؤها، وذلك قبل أن يحدث تغيير فى الخطط، مما أدى إلى تكسية هذه الدرجات بثمانى درجات أخرى أكبر منها، وعند هذا الحد تم الانتهاء من بناء الهرم، وشرع «سنفرو» فى بناء هرمٍ آخر فى دهشور، إلا أنه فى السنوات الأخيرة من فترة حكمه، قام العمال باستخدام الحجارة لحشو هذه الفراغات الموجودة بين درجات هرم ميدوم، بقصد تحويله إلى ما يُعرف بالهرم الحقيقى، ذى الجوانب الملساء المائلة.

وأغلب الظن أنه كان يتم بناء حجرة الدفن السرية أولاً، ويلى ذلك بناء الهرم فوقها، وكان الدخول إلى حجرة الدفن يتم أصلاً عن طريق ممر صغير يبدأ من منتصف الجدار الشمالى للهرم، ويهبط هذا

الممر عبر جسم الهرم إلى عمق 57 مترًا تقريبًا، وعند نهاية هذا المُنْحَدر، يوجد دهليزٍ مستوٍ يبلغ طوله 9,3 متر وعند نهاية هذا الدهليز، يوجد ممر رأسى يرتفع إلى حوالى 6 أمتار حتى يصل إلى أرضية حجرة الدفن التى يبلغ طولها 5,7 متر وعرضها 2,4 متر.

ويوجد حجرتان صغيرتان على جانب الدهليز، وهما تُستخدمان أساسًا فى تخزين ألواح حجرية ضخمة، يتم إسقاطها لسد الممر المؤدى إلى المقبرة بمجرد أن يوضع جثمان الملك بداخلها، غير أنه يبدو فى الحقيقة أنه لم يتمَّ دفن أحد على الإطلاق فى هذا الهرم، إلاَّ أنه لايزال هناك بعض الأدلة المتعلقة بمجمع الهرم، تتمثل فى وجود آثار للمعبد الجنائزى، وهرم ثانوى، والطريق المُعَبّد المؤدى إلى معبد الوادى.

مآسى العائلة

إبّان الفترة الأولى من حُكم «سنفرو»، عندما كان هناك اعتقاد بأنه سوف يُدفن فى هرم ميدوم، وافت المنيّة اثنين على الأقل من أبنائه، ويوجد عدد من المصاطب - مقابر فرعونية مستطيلة - فى الجهة الشمالية للهرم، وهى تشتمل على أماكن دفن اثنين من أبناء «سنفرو» يدعيان «نفرماعت» و«رع حوتب»، وكلتا المقبرتين مشهورتان، نظرًا للأشياء التى تمَّ العثور عليها فيهما.

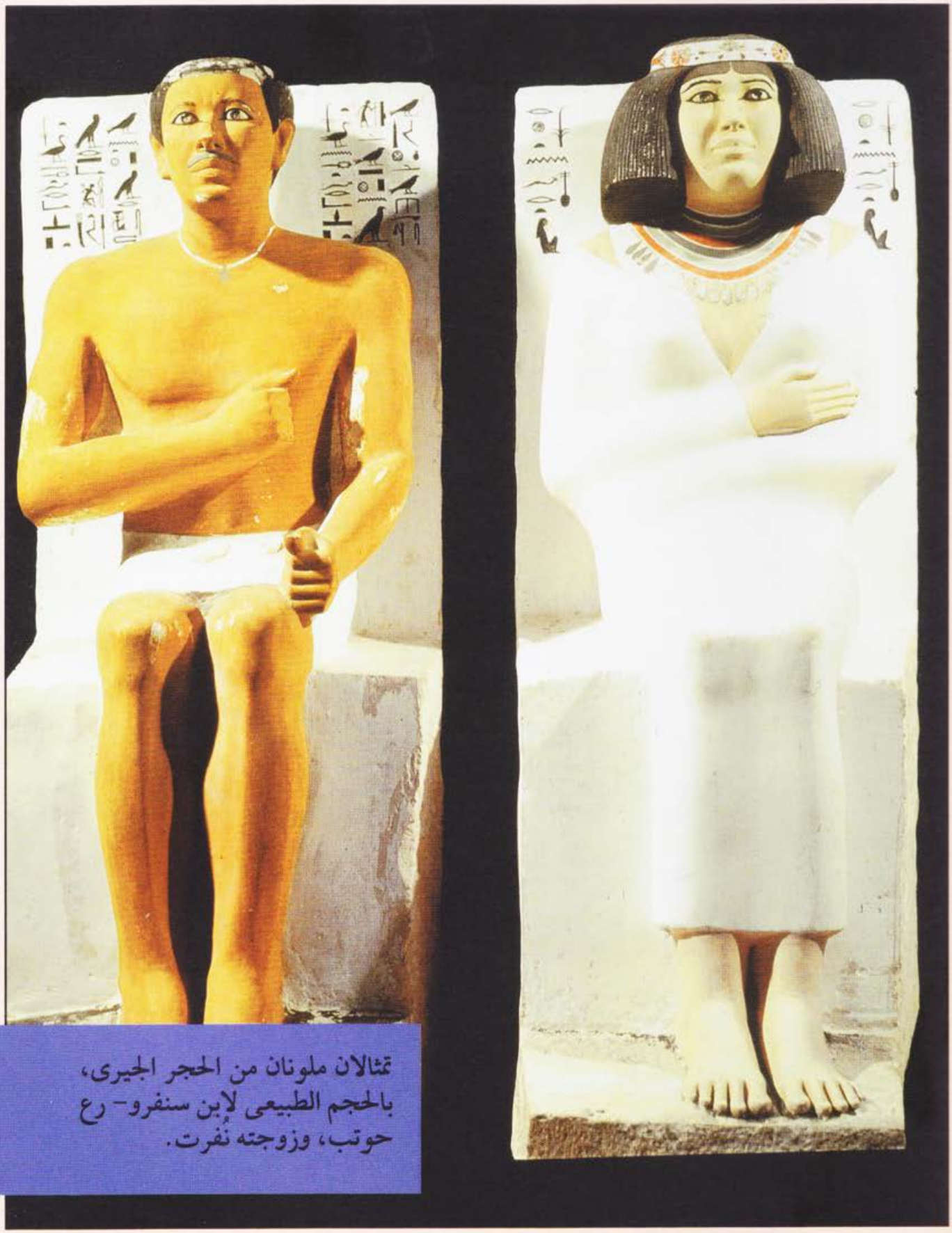

تمثالان ملونان من الحجر الجيرى، بالحجم الطبيعى لإبن سنفرو- رع حوتب، وزوجته نفرت.

ومقبرة «نِفرماعت» وزوجته «أتت»، كانت مُزدانة بمشاهد بالألوان تصور حياتهما اليومية هما وأولادهما، وهى تشتمل على صور لرجالٍ يقومون بصيد الطيور من المستنقعات، وفلاحين يقومون بحرث الأرض وغرس البذور، وتحتوى مقبرة «رع حوتب» وزوجته «نُفرت»، على تماثيل للزوجين وهما جالسان، وهذه التماثيل مصنوعة من الحجر الجيرى، وتم تلوينها بصورة تنبض بالحياة، فنجد «رع حوتِب» ذا بشرة بنية ضاربة إلى الحُمرة، وشعر أسود قصير، وشارب، ويرتدى مِئزرًا يصل إلى الركبة، وقلادة بها حِلية صغيرة على شكل قلب، وأما «نُفرت» فكانت ذات بشرة تميل إلى اللون الأصفر الشاحب، وشعر أسود مستعار يصل إلى الكتفين، وهى ترتدى رداءًا أبيض ذا حمالتين على الكتفين وثوبًا أبيض، كما ترتدى كذلك قلادة ضخمة غنية بألوانها التى تتوافق مع ألوان العُصابة التى تضعها على رأسها، وكلاهما قد وضع كُحلاً أسود للعينين، للحماية من وهج الشمس الساطعة.

إدارة شئون الحُكم

تُشِير الأدلة المستقاة من المقابر الخاصة التى تُحيط بأهرامات الملك، إلى أَنّ حكومة «سنفرو» كانت ذات كفاءة عالية، فقد قام «سنفرو» بتعيين عدد كبير من الموظفين الذين كانوا فى المقام الأول من أفراد عائلته الكبيرة الممتدة، وكان يُشرف على تدريبهم ويمنحهم الهدايا كالأراضى لكى يبنوا عليها بيوتهم، كما كان يدفع تكاليف دفن العديد من الموظفين فى المصاطب (مقابر مستطيلة الشكل) التى تُحيط بأهراماته الثلاثة.

وكانت الدوائر الحكومية تشتمل على الخزانة (التى كان لها سُلطة فرض الضرائب)، والسلاح، ومخازن الحنطة (التى كان لها كذلك سُلطة فرض الضرائب، وكانت تتمثل فى مصادرة الفائض من الحنطة فى المناطق الريفية). ودائرة الأشغال العامة، التى كانت تُركِّز اهتمامها الأول على بناء وتشييد المعابد والقصور، أما الوزراء فكانوا مسئولين عن الجوانب القانونية للحكومة، وعن الأرشيف الملكى،

إلا أنهم كانوا يخضعون كذلك للمُسَاءَلةِ المباشرة من قبِل «سنفرو».

وكان يقوم على إدارة المعابد الكبرى، والمجمع الجنائزى الملكى، مجموعة من الكهنة الذين كانوا يخضعون كذلك للقيادة المباشرة للملك، وكانت مصر مُقسّمة اداريًّا إلى أقاليم، وفى العصور الأولى، كانت هذه الأقاليم تُدار كأقاليم منفصلة، بواسطة حُكّام محليين، وكان «سنفرو» يَكفُل لها أن يتم حُكمُها كأقاليم إدارية خاضعة له، وذلك من قِبل أفراد موالين له فى حكومته يُطْلَقُ عليهم حُكّام الأقاليم.

وكان أحد حُكّام الأقاليم هؤلاء، رجلا عاش ومات إبّان حُكم «سنفرو» يُدعى «مِتحِن»، وتظهر سيرته الذاتية على جدار مقبرته بمنطقة سقارة، ومن المرجَّح أن «سنفرو» ذاته هو الذى تَحّمل تكاليف بنائها، والنّص يوضح النظام العام لحكومة «سنفرو»، فضلاً عن ذِكر قائمةٍ بالإنجازات العديدة التى حققها «مِتحِن»، الذى عاش وعمل فى إقليم دلتا النيل، وتُظهر قصته كيف بزغ نجمه رويدًا رويدًا، من مجرد كاتب ومشرف على أحد المخازن ومركز لتوزيع الأغذية، حتى صار الحاكم المحلى لعددٍ من المدن فى الدلتا والفيوم.

يبدأ «مِتحِن» قصته بذكر قائمةٍ بما قد ورثه: «قُدمت إليه متعلقات أبيه، وكان يعمل قاضيًا وكاتبًا، فلم يكن هناك حنطة أو أى شىء خاص بالبيت، بل أناس، وقليل من الماشية»، وهذا يعنى أن «مِتحِن»

قد ورث رقعةً من الأرض بها أُجراء من الفلاحين الذين يعملون لديه.

ثم يذكر ذلك التقدم الذى أحرزه فى حياته العملية: «تم تعيينه كبير كتبة مخزن المؤن والسلع، ومشرفًا على جميع الأمور المتعلقة بمخزن المؤن والسِلع، وصار حاكمًا محليًّا على «زُويس» (سخا - قرب مدينة كفر الشيخ)، ومساعد قاضٍ ميدانى على «زُويس»، ثم تمَّ تعيينه قاضيًا، وعُين ناظرًا على جميع كتان الملك، وحاكمًا على جنوب «بِركِد» ونائبًا، وتمَّ تعيينه حاكمًا محليًّا على شعب «دِب»، ومُدبِّرًا لشئون قصر «ميبر» و«بِرسِبا» وحاكمًّا محليًّا على الإقليم الصاييتى (صا الحجر - قرب بسيون بالمنوفية)، وحاكمًا على حصن «سِنت»، وحاكمًا على «برسحِستحِت»، وحاكمًا على مدن قصر البحيرة الجنوبية». ولا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة أماكن جميع هذه القصور، غير أنه من الواضح أن «مِتحِن» كان موفقًا جدًّا فى حياته العملية من الناحية الإدارية، ومن المهم ملاحظة عدم وجود ما يُشير إلى أنّه قد جاء من إحدى العائلات الملكية، بل ولا حتى من إحدى العائلات الكبرى، وهذا إنما يُشير إلى أنه كان من المُمكن لذوى الطموح من صغار العائلات أن يصعدوا ويأخذوا مكانهم فى الصفوف الأولى فى حكومة «سنفرو».

يصف «مِتحِن» كذلك المكافآت والعطايا التى منحه إياها «سنفرو» طوال فترة عَمَلِه الوظيفى، والتى اشتملت على بيتٍ كبير والأراضى المحيطة به، «نُقلت له على سبيل المكافأة مساحات شاسعة من الأراضى... وعطية يومية عبارة عن 100 رغيف، من المعبد الجنائزى لأم أولاد المَلك، وبيت يبلغ حوالى 10000 متر مربع كما خُصصت له أعداد وفيرة من الأشجار ومزارع الكروم، حيث كان يتم صناعة كميات كبيرة من المشروبات هناك.»

التعامل مع الليبيين

وفضلاً عن قيام «سنفرو» بالإشراف على أعمال بناء هرمه وإدارته لحكومته، إلاّ أنه تَحتّمَ عليه أن يركّزَ جهده على الأمور التى تتعلق بالشئون الدولية، ويُسجل حجر «باليرمو» أن «سنفرو» قد خرج على رأس حملات ضد الـ«تجيحينو»، أى الليبيين، وكان الليبيون بدوًا رُحَّلا، هذا يعنى أنهم لم يستقروا فى مكان واحد، بل كانوا يسكنون الخيام، مع عائلاتهم وممتلكاتهم، بما فى ذلك حيواناتهم، وكانوا يتنقلون من مكان إلى مكان، وكان الـ«تجيحينو» يُصوَرون على أنهم مُلتحون ذوو بشرة فاتحة اللون، وأحيانًا بعيون زرقاء، ويمكن التعرف عليهم فى الرسوم التوضيحية المصرية من خلال وشمهم الأزرق،

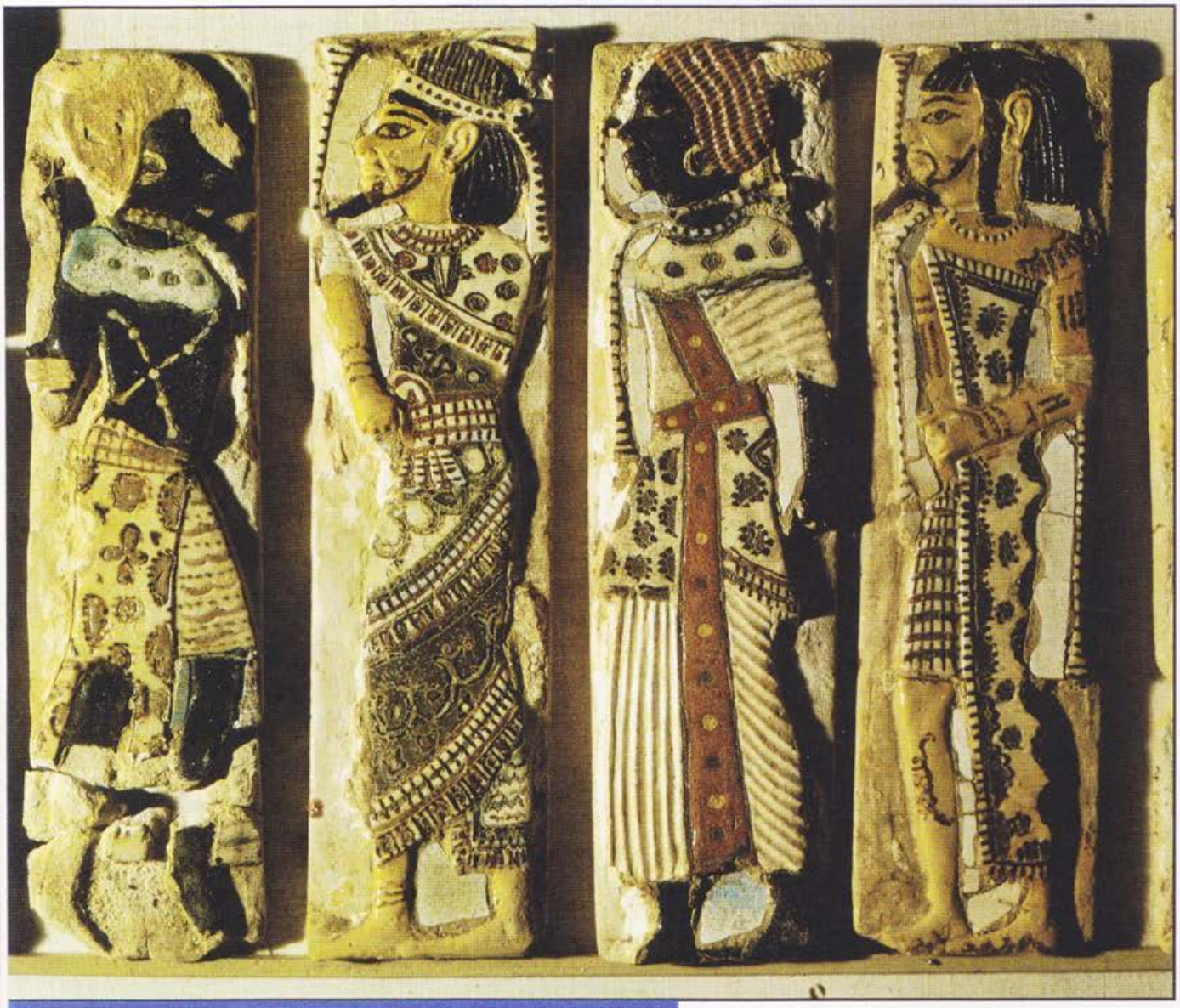

نحت بارز لأربعة أشخاص أسرى من أصول نبيلة، يُمثلون أعداء مصر، الشخص ذو الوشم ليبى، وذو اللحية أمير سورى، أما الشخصان الآخران فهما نوبيان.

وثيابهم الطويلة، وسراويلهم، ولحاهم المُحدّدة، وضفائر شعورهم الطويلة المنسدلة على جانب واحد من رؤوسهم، وغالبًا ما كانوا يضعون ريشة نعام بين هذه الضفائر المنسدلة.

وفى عصور لاحقة من تاريخ مصر، انضم «التجيحينو» وبعض الجماعات الأخرى التى كان يُطلق عليها «المِشويش»، و«الليبو» (التى يرجع إليها أصل الاسم الحديث لليبيا) إلى بعضهم البعض

لمهاجمة مصر، غير أنه إبَّان الدولة القديمة لم يُمثل الليبيون أى تهديد يُذْكر يمكن أن يؤثر على استقرار مصر وأمنها.

ومع ذلك فقد قام «سنفرو» بتنظيم سلسلةٍ من الغارات ضد هذه القبائل لضمان بقائهم بعيدًا عن وادى النيل، وعلى الرغم من أنه لم يتوافر لدى الليبيين أى سِلع أو بضائع مادية يمكن الاتجار بها مع المصريين، فإن الريش الذى كثيرًا ما كانوا يضعونه فى شعرهم، يُثبت أنه كان فى مقدورهم الوصول إلى طيور النعام التى كانت تعيش كذلك فى الصحراء، والمصريون كانوا يحتاجون إلى ريش النعام لصُنع المراوح وأغطية الرأس وأغراض أخرى.

توسيع الإمبراطورية

كانت النوبة الجنوبية (السودان الآن) حينئذ تقع على حدود مصر الجنوبية. وكانت تتبادل التجارة مع مصر منذ أواخر عصر ما قبل

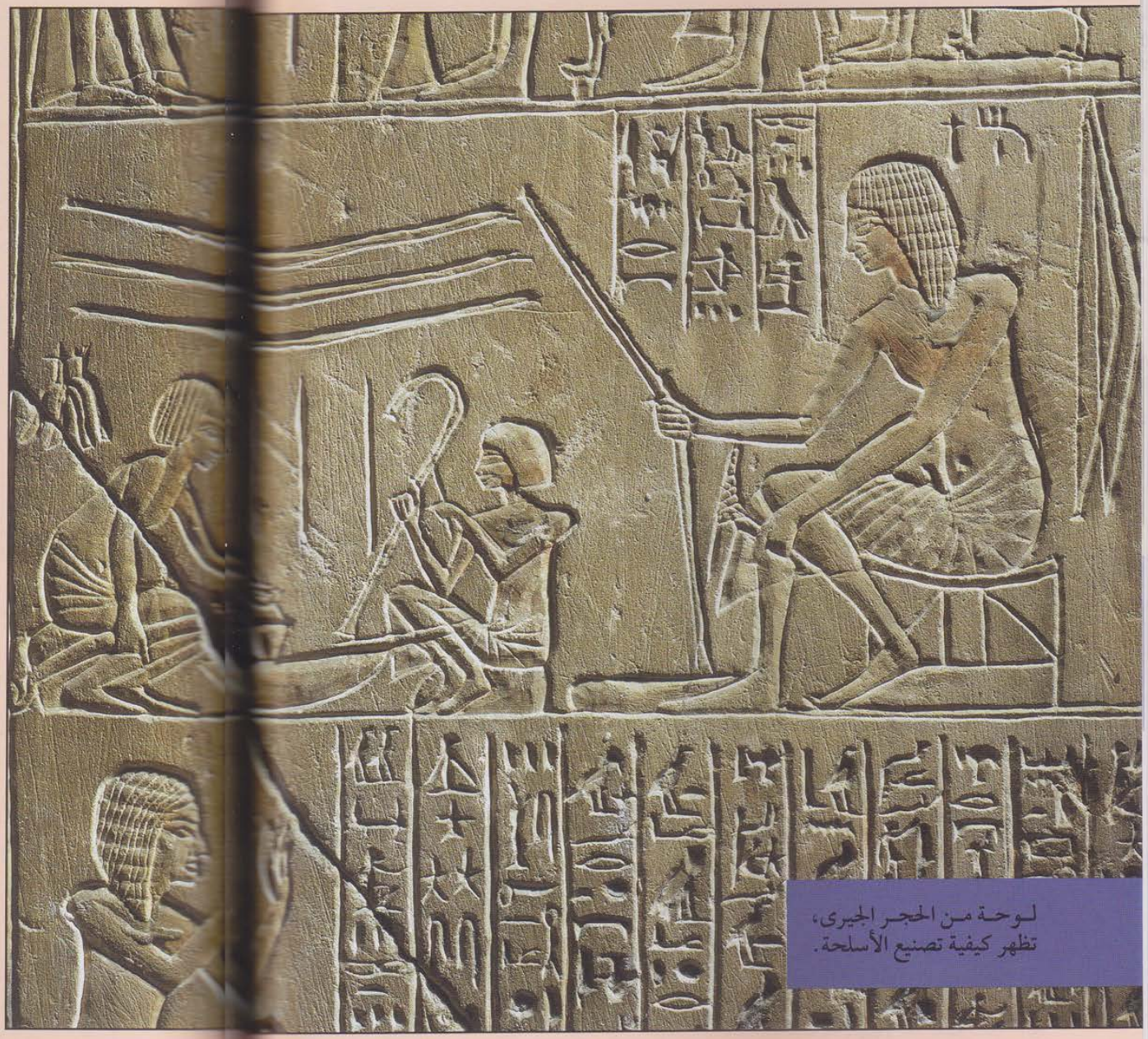

لوحة من الحجر الجيرى، تظهر كيفية تصنيع الأسلحة.

نقش من النحت البارز يُظهر الفرعون المنتصر وهو يقوم تفقد جثث أعدائه، لاحظ كيف كان يتم تصوير الملك بحجم أكبر من الشخصيات الأخرى، طبقًا للأسلوب المصرى المعتاد قديمًا.

الأسرات، وذلك عندما كان المصريون يحتاجون إلى البضائع الفاخرة من النوبة، مثل الذهب، والعاج، والأبنوس.

إلا أنه إبَّان الدولة القديمة، كان هناك زيادة فى الطلب فى مصر على المواد الخام، نظرًا لأن مشروعات البناء الضخمة كانت على أُشُدها، وهذا يعنى أنه كان يُنْظر إلى النوبة الجنوبية على أنها مصدر لهذه البضائع والسلع التى يُفضل الحصول عليها عن القيام

بشرائها، وكان «سنفرو» يضع الخطط لبناء وتشييد هرمه الضخم فى ميدوم، فضلاً عن بناء قصورٍ ومعابدَ جديدة فى منف، ومن ثَمَّ لم تكن هذه المبانى جميعها فى حاجةٍ إلى الذهب والمواد النفيسة لزخرفتها فحسب، بل كانت تحتاج أيضًا إلى أعداد غفيرة من العمال للقيام بأعمال البناء والتشييد.

ومن ثم، قام «سنفرو» بحشد جيش كبير من مختلف القوات المحلية، وكذلك بالاستعانة ببعض المرتزقة، وَعيّن عليهم قائدًا يُعَرف بالمشرف على الجنود، ثُمَّ قام بعد ذلك بإرسال هذه القوات المُقَاتِلَة بالزوارق إلى النوبة فى أعالى النيل، وفى حقيقة الأمر لم يُمَثل النوبيون (السودانيين الآن) أى تهديد للدولة المصرية فى هذه المرحلة، وكان هذا التصرف بمثابة سياسة هيمنة، وبداية لعددٍ من الحملات العسكرية النشطة على النوبة الجنوبية، تَمَّ خلالها الحصول على الأسرى، والماشية، والأخشاب، وأصبح متوافرًا لديهم نوع خاص من الحجارة التى

يُطلق عليها الديوريت، وهى تُستخدم فى عمل التماثيل، ويَتِمُّ جلبُها من محاجر النوبة الجنوبية الموجودة على امتداد النيل، وأثناء وجودهم فى النوبة الجنوبية، قام الجيش المصرى ببناء مستوطنةٍ صغيرة فى «بوهن»، التى تقع بالقرب من الشلال الثانى للنيل، على مسافة حوالى 400 كم جنوب حدود أسوان، حيث كان «حونى» قد قام قبل ذلك بتشييد حصنٍ هناك، ويسجل حجر باليرمو أن المصريين قد عادوا ومعهم 70000 أسيرًا حيًّا و200000 رأس من الماشية والأغنام، الكبيرة منها والصغيرة.

أُخذ رجال النوبة الجنوبية ونساؤها وأطفالها إلى مصر، حيث عمل الرجال إما فى الجيش أو فى مشروعات البناء، أو تحولوا إلى فلاحين فى دلتا النيل، بينما تَمّ استخدم النساء والأطفال للعمل كخدم فى البيوت، أو للقيام بالأعمال الصغيرة فى المخابز أو مصانع الشراب، أما بالنسبة لهؤلاء النوبيين الذين ظلوا فى بلدهم، فقد خسروا مواشيهم.

حجر باليرمو

حجر «باليرمو» عبارة عن لوح حجرى قائم منقوش عليه كتابات، ويُعد هذا الحجر المصدر الرئيسى لمعلوماتنا فيما يتعلق بالأحداث التى دارت إبَّان فترة حكم «سنفرو»، ولسوء الحظ أنه قد تهشّم إلى

أجزاء صغيرة فى فترة ما فى الماضى، وقد تمت إقامة حجر باليرمو إبّان الأسرة الخامسة، وذلك بعد وفاة «سنفرو» بما لا يقل عن 100 عام، وكان قد نُقشت عليه مجموعةٌ من السجلات الملكية، التى تذكر قائمة بالأحداث الرئيسية التى حدثت فى كل عام على حدة، والتى تعود إلى بداية تاريخ مصر، وهذا الحجر فى أصله يصل إلى ما يقرب إلى مترين، إلا أنه لم يتبق منه فى وقتنا الحاضر سوى بضعة أجزاء قليلة، وبعض هذه الأجزاء تَذْكر الأحداث التى دارت إبّان فترة حُكم «سنفرو».

حملات إلى صحراء سيناء

كانت هناك حاجة إلى النحاس من أجل صناعة الأسلحة للجيش، وكان مصدر هذا المعدن على مسافةٍ بعيدة فى صحراء سيناء، كما كانت تحتوى هذه المنطقة على الفيروز، وهو عبارة عن حجر كريم أزرقَ أو أخضرَ كان المصريون مولعين باستخدام كليهما فى المجوهرات وتزيين الأشياء الصغيرة وقِطَع الأثاث، وكانت إحدى التوليفات من الأحجار الكريمة، والتى كانت مُفضلة لدى المصريين القدماء، عبارة عن مزيج من الفيروز الأخضر من جبال سيناء، والعقيق الأحمر من الحصى بالصحراء الشرقية، واللازورد ذى اللون الأزرق الداكن

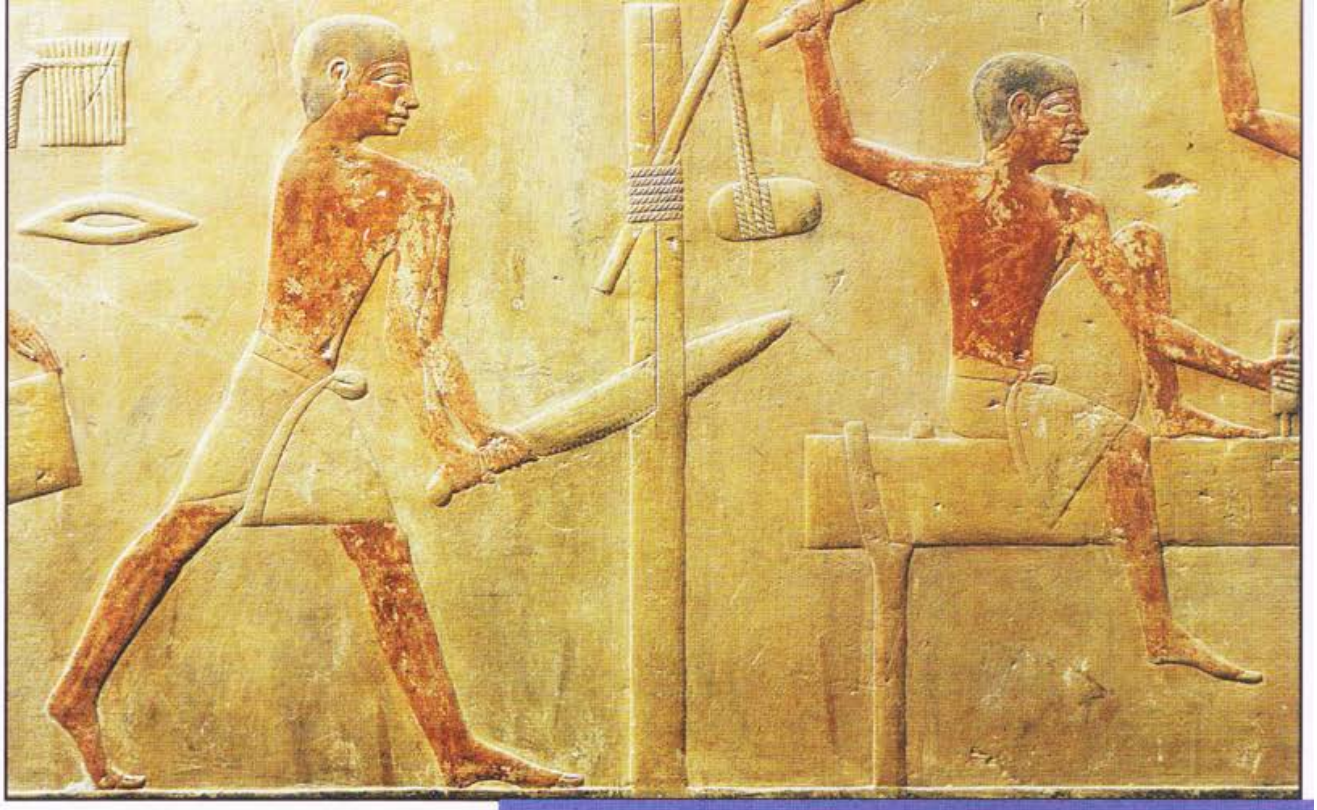

نقش قليل البروز يُظْهر العمال وهم يقومون بتشكيل الأخشاب لاستخدامها فى بناء السفن.

الذى كان يَتمُّ استيراده من تركستان التى تقع على مسافة بعيدة من مصر، وكانت هذه الأحجار تُنْظَم إلى بعضها البعض كالخرز بواسطة خيط، لعمل قلادات وأساور، أو كانت تُستعمل لتطعيم التيجان الذهبية والأقراط والخواتم نظرًا لألوانها الغنية، وأحيانًا كان يتم محاكاة هذه الأحجار الكريمة بالزجاج الملون، بطريقة غاية فى البراعة، إلى حد أنه كثيرًا ما يَصْعُب التمييز بينها وبين الأحجار الحقيقية، ولقد كان كل، من الرجال والنساء يتزينون بالمجوهرات طوال تاريخ مصر.

لقد كانت جبال صحراء سيناء مصدرًا للنحاس والفيروز منذ عصر ما قبل الأسرات، وكان المصريون القدماء يرسلون حملات من عمال المناجم والمحاجر إلى هذه المنطقة، وكان الوصول إلى سيناء

نحت بارز لسفينة وهى تنقل البضائع.

يَنْطوى على رحلةٍ طويلة تبدأُ أولاً عن طريق البر عبر الصحراء الشرقية من وادى النيل حتى ساحل البحر الأحمر، ثُمَّ بعد ذلك يستقلون سفينة حتى يصلوا إلى الساحل الغربى لسيناء، وعندئذ يقومون بإفراغ حمولتهم من الإمدادات، والطعام، والأدوات، والأسلحة، وكذلك الحمير التى أحضروها معهم لحمل أمتعتهم إلى مواقع محاجر الفيروز.

وهناك أدلة ترجع إلى عصر حكم «سنفرو» تُشير إلى وجود أماكن لنصب الخيام، وذلك فى موقع يُطلق عليه اسم «وادى المغارة»، وهو يقع على مسافة 225 كم تقريبًا شرق القاهرة، وفى هذا الموقع أيضًا كان يَتِمُّ تصنيع النحاس، وهذا يرجح أن المصريين كانوا يقومون كذلك باستخراج النحاس، فضلاً عن شرائه من رجال القبائل المحلية، كما توجد كذلك بعض الصور الرائعة المنقوشة على الجدران

الصخرية تُمَثِّل الفرعون وهو يَضْرب الأسرى الأجانب، وفيها يظهر «سنفرو» وهو يرتدى تاجًا ويُمسك بدبوس أعلى رأسه، وقد أوشك أن ينزل به على أحد رجال القبائل من البدو كان راكعًا أمامه، بينما أحكم الفرعون قبضة يده الأخرى على شعر رأس البدوى، ويذكر نقش مصاحب لها قائمة بأسماء الملك وألقابه.

وتُعد هذه الصور والنقوش بمَثابة دلالة على أن الفِرَق التى كانت تذهب إلى سيناءَ كانت تضُمّ بين أفرادها صنّاعًا مهرة، ولابد أنه كان يتوافر لديهم أحيانًا أوقات فراغ كانوا يستغلونها فى القيام بإبداعات فنية، وفى رحلة العودة، كانت الحَمِير تحْملُ النحاس والفيروز إلى السفن، حيث يَتمُّ شحنهما على متنها، ومن ثم، تُبحر عائدةً إلى الساحل الشرقى لمصر.

بناء المزيد من الأهرامات

فى السنة الخامسة عشرة من حُكمه (2485ق.م)، ولسببٍ غير معروف، غَيَّر «سنفرو» رأيه فيما يتعلق بالمكان الذى سوف يُدفَن فيه، ومن ثَمّ، شرع فى بناء هرم آخر على مسافة 40 كم شمال ميدوم بمنطقة دهشور، إلاّ أنه لم يكن سعيدًا بهذا الهرم الجديد، وما لبث أن انتهى من بنائه، حتى قام ببناء هرم آخر، فى دهشور أيضًا، غير أن القصة لم تنتهِ عند هذا الحد، ذلك أنه بعد الانتهاء من الهرم الثالث بدهشور، قام بإرسال العُمال مرة أخرى إلى ميدوم لإتمام بناء الهرم الأول! وجميع هذه الأهرامات الثلاثة قد تَمّ تشييدُها أصلاً من الحجر الجيرى المحلى، فضلاً عن ألواح من الحجر الجيرى الأبيض تَمّ صَقْلُها جيدًا لاستخدامها فى تغطية الأسطح الخارجية ، ولقد كانت هذه الطبقة الخارجية بديعة المنظر إلاّ أنها قد اختفت فى مُعظمها عبر القرون

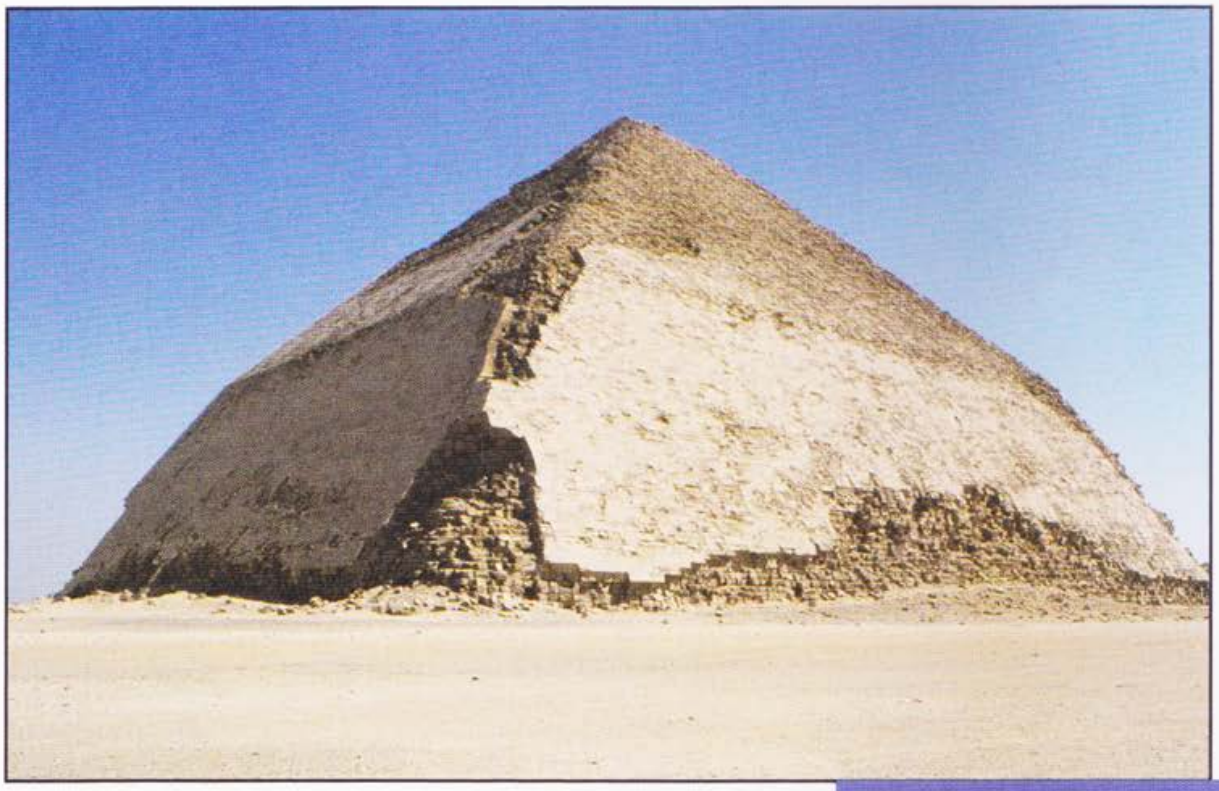

الهرم المنكسر بدهشور.

حيثُ كان يَتمُّ انتزاعها لاستخدامها فى بعض مشروعات البناء الأخرى.

الهرم المنكسر بمنطقة دهشور

عندما شرع «سنفرو» فى بناء هرمه الثانى بدهشور، لم يكن قد سبقه أحد من قبل فى بناء هرم ذى جوانب ملساء، فقد بدأه فى أول الأمر بجوانب شديدة الانحدار، إلا أنه سُرعان ما ظهرت بعض المشاكل، فقد بدأت الشروخ والتشققات تظهر فى الواجهة الخارجية والدهاليز الداخلية للهرم، وللتصدى لهذه المشكلة، قام العمال ببناء طبقة إضافية حول الأجزاء الخارجية من الهرم، مما جعله أكبر حجمًا وأضفى عليه انحدارًا أقل حدة، إلاّ أنه مع ذلك قد ظهرت بعض التصدعات الجديدة، ومن ثم انتهى الأمر بالنصف العلوى من

مُنْحَدر الهرم بأن صار أقل ميلاً من ذى قبل، مما أكسب جانب الهرم مظهرًا منكسرًا، ذلك لأن زاوية انحداره قد تغيّرت.

وكذلك يُعد هذا الهرم فريدًا فى نوعه، ذلك أنه يحتوى ليس على حجرة دفن سِرية واحدة فحسب، بل على اثنتين، لكل منهما مدخل خاص منفصل عن الأخرى، فإحداهما تُوجَد فى الواجهة الشمالية للهرم، بينما تُوجد الأخرى فى واجهته الغربية، وأغلب الظن أنه كان قد تم بناء حجرة الدفن الشمالية والممر المؤدى إليها قبل تشييد الهرم فوقها، ويَهْبط الممر من المدخل بعمق يصل إلى 72 مترًا، وعند أسفل الممر توجد حجرة طويلة ضيقة ذات سقف يبلغ ارتفاعه 12 متر، وهو عبارة عن ألواح حجرية ناتئة من الجُدران، مما يجعل مساحة السقف أقل اتساعًا، كما هو الحال فى العقد أو القوس، وأما حجرة الدفن فتُوجد إلى جوار هذه الحجرة على مستوى أعلى منها، ربما كان يتم الوصول إليها أصلاً عن طريق سُلم متنقل، وهذه الحجرة أيضًا ذات سقف يبلغ ارتفاعه 17 مترًا.

أما الحجرة الثانية للدفن، فقد تم بناؤها على غرار حجرة الدفن الأولى، وهى تقع أعلاها، إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها، وقد تم الربط بين الحجرتين عن طريق دهليز قصير يصل بينهما، إلا أنه يتم الوصول إلى هذه الحجرة الثانية فى المقام الأول عن طريق ممر يتصل

بمدخل فى الجهة الغربية من الهرم، ويهبط هذا الممر فى منحدر بطول 63,6 متر قبل أن يستوى للدخول فى دهليز يصل طوله إلى 19,8 متر ويحتوى هذا الدهليز المنبسط على لوحين حجريين ضخمين، يُطلق عليهما «شَعريتا التحصن»، كان المقصود «جعلهما ينزلقان عبر الدهليز كى يتم سده بمجرد الانتهاء من عملية الدفن، وذلك بعد أن يكون قد تم إحكام غلق أحدهما بالجص، وإخفاء معالمه، وكان القصد من هذا هو إيهام اللصوص بالاعتقاد بأنهم قد وصلوا إلى نهاية الدهليز، إلا أنه من غير المعلوم سبب احتواء هذا الهرم على حجرتين للدفن، وفى الحقيقة، ليس هناك أية أدلة تشير إلى أنه قد تم دفن أحد فيها على الإطلاق.

لقد تَمَّ الحفاظ على مَجْمع الهرم بدهشور على نحو أفضلَ من ذلك الموجود بميدوم، ذلك أنه يمكننا مشاهدة أطلال المعبد الجنائزى عند سفح الجانب الشرقى من الهرم المنكسر، فضلاً عن الطرق المُعبَّدة المؤدية إلى معبد الوادى، إلا أن معبد الوادى ذاته كان قد تعرض للتخريب والتدمير فى وقت ما فى الأزمنة الغابرة، غير أنه قد تم الحفاظ بصورة جيدة على بعض النقوش الموجودة على جدرانه.

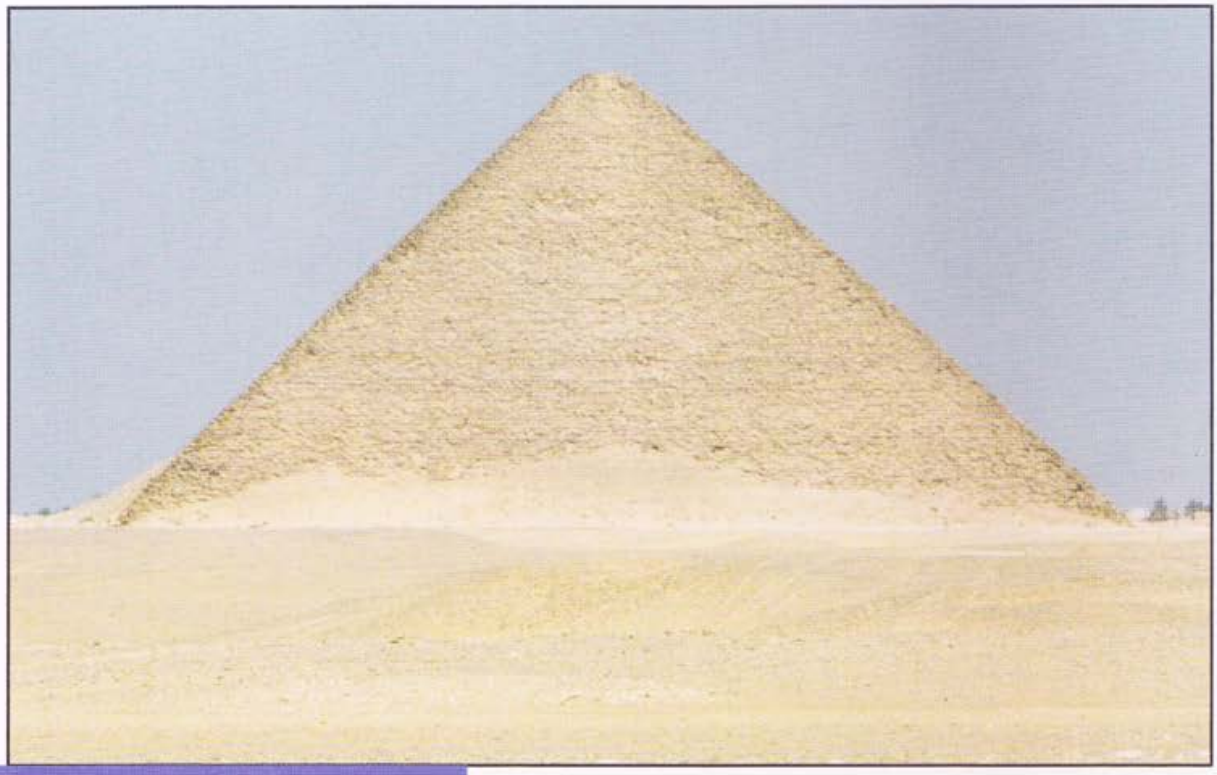

الهرم الأحمر بدهشور.

الهرم الأحمر بدهشور

ربما لعدم رضى «سنفرو» عن التغيرات العديدة التى طرأت على تصميم الهرم المنكسر، وحتى قبل أن يتم الانتهاء من تشييده، فسرعان ما شرع فى بناء هرم آخر، أيضًا فى دهشور. ومنذ البداية تم بناء هَذا الهرم بانحدار أقل حدّة، على غرار القسم العلوى من الهرم المحنى، وهو معروف فى وقتنا الحاضر بالهرم الأحمر نظرًا للون الحجر الجيرى الضارب إلى الحُمرة، والذى يُشكِل قلب بناء الهرم، أما السطح المكون من الحجر الجيرى الأبيض، والذى كان فى الأصل بمثابة غطاء خارجى يُغَطَّى به الهرم، فقد عَفا عليه الزمن منذ أمد بعيد، ويبلغ الارتفاع الأصلى للهرم 103 متر، ويبلغ طول كل ضلعٍ من أضلاعه عند قاعدته 216,6 متر.

ويبدأ الهرم بدهليز فى الواجهة الشمالية من الهرم يهبط لمسافة

62 مترًا إلى داخل جسم الهرم، ومن ثم يستوى حتى يصل إلى دهليز يبلغ طوله 7,2 متر يفضى إلى الحجرة الأولى، وهى مستطيلة الشكل، يبلغ طولها 8,1 متر، وعرضها 3,6 متر، وهى ذات سقف يبلغ ارتفاعه 12 مترًا، ثم يؤدى ممر قصير إلى حجرة ثانية، هى الأخرى يبلغ ارتفاع سقفها 12 مترًا، ومن ثم يبدأ ممر سرى يرتفع 7,5 متر عن الأرضية، فى أعلى جدار هذه الحجرة الثانية، ويبلغ طوله 7,2 مترًا ويُفضى إلى حجرة الدفن، وهى عبارة عن حجرة كبيرة، يبلغ عرضها 4,2 مترًا وطولها 8,4 متر، وأما ارتفاعها فيبلغ 15 مترًا.

عقب إتمام المراسم الجنائزية، كان يتم إخفاء معالم المدخل المؤدى إلى الممر السرى حتى يصبح شبيهًا ببقية الجدار المُصمت، غير أنه، ولسوء الحظ، فى وقت ما فى الزمن الغابر، اكتشف لصوص المقابر هذا الممر، وعندما قام المنقبون بإفراغ حجرة الدفن من محتوياتها سنة 1950م، لم يعثروا فيها سوى على بضعة أجزاء من بقايا بشرية، إلا أنه يُعتقد أنه تَمّ دفن «سنفرو» فى هذا الهرم، وأنه من الممكن أن تكون هذه البقايا البشرية هى بقايا مومياءه. وهناك بعض الأدلة التى تتعلق بمَجْمع الهرم، غير أننا نلحَظ أن المعبد الجنائزى ومعبد الوادى قد تم الانتهاء من بنائهما على عجل، مما يُشير إلى أن «سنفرو» قد وافته المنية قبل الانتهاء من بنائهما.

وكانت مدن الهرم تبدأ فى التطور والتنامى حول كل هرم إبَّان فترة بنائه وتشييده، فقد كانت هناك حاجة للمدن لإقامة الآلاف المؤلفة من العاملين الذين يقومون على بناء مَجْمع الهرم بأكمله، فمنهم من يقوم بِقَطْع الكُتل الحجرية وتشكيلها، ومنهم من يقوم بسحبها إلى أماكنها، فضلاً عن المعماريين والمصممين الذين يباشرون سير العمل بالصورة الملائمة، وكذلك جميع أصحاب الحرف المتخصصين الذين كانوا يعتنون بجميع الأدوات المُستخدمة، فيقومون بإصلاح ما قد تعرّض منها للكسر ويُصنِّعون الجديد منها بصورة متواصلة، وبعضٌ من هؤلاء العاملين كانوا يقيمون إقامةً دائمة بالقرب من الأهرام على مدار العام، وبعضهم الآخر كانوا يأتون فقط للإقامة إبّان فصل الفيضان، عندما لا يتمكنون من القيام بعملهم فى مزارعهم الموجودة بأماكن سكناهم.

كذلك كان يسكن هذه المدن جميع هؤلاء الذين يقومون على خدمة العُمّال، بمن فيهم الخبّازون لصناعة جميع أنواع الخُبز والمشروبات التى كان يتناولها العمال، وتُظهِر كذلك الأدلة المستقاة من مدينة هرم «خوفو»، ابن «سنفرو»، أنه كان يَتمّ تناول كميات هائلة من الأسماك، وأنه قد تَمّ العثور على موقع لمصنع كان يَتمّ فيه تنظيف وسلخ ونزع عظام الآلاف من أسماك السّلور (القراميط)، كما كان

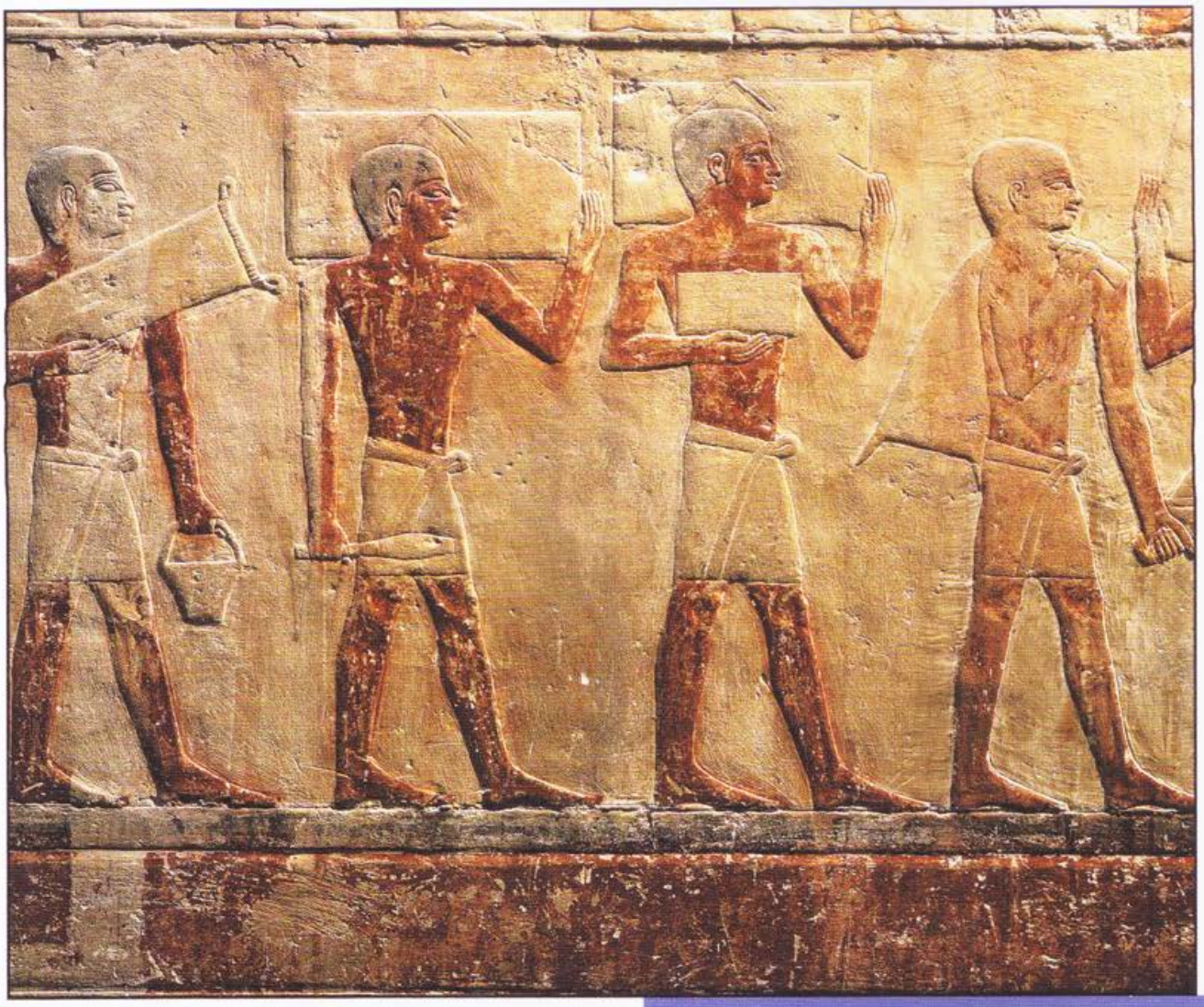

نحت قليل البروز يصور عمال البناء وهم فى طريقهم إلى العمل.

هنالك عددٌ من القصّابين (الجزّارين) الذين يقومون بذبح الحيوانات التى كان يتمُّ جَلْبُها إلى الموقع وإعدادها للطعام، ويُرَجّح أن العديد من العمال كانوا يُحضرون معهم زوجاتهم وأطفالهم كى يعيشوا معهم، ومن ثَمّ كانت تتم ممارسة جميع الأنشطة التى كانت تجرى فى أى مدينة أخرى طبيعية، حيث كانت توجد الأسواق، والمدارس، ومصانع الفخار، والمعابد. كما أن بناء هرمٍ كان بمثابة عملٍ بالغ الخطورة، حيث إنه كان ينطوى على احتمال السقوط من أعلى الهرم أو الطرق المنحدرة، أو السحق تحت وطأة إحدى الكُتل

الحجرية الضخمة، وهناك كذلك أمثلة على وجود مقابر جماعية ضخمة ذات صلة بمدن الهرم، فالعامة من الناس، على خلاف أفراد العائلة المالكة، لم يكن يتم تحنيطهم إبان ذلك العصر، ومن ثم فقد تَمّ العثور على المئات من الهياكل العظمية فى المدينة التى تقع بالقرب من هرم «خوفو»، ويُظهر التحليل الذى تم إجراؤه على هذه العظام أن العديد من العمال كانوا يعانون من التهاب المفاصل، فضلاً عن أمراض أخرى فى المفاصل أيضًا، ولا سيما تلك التى تتعلق بالعمود الفقرى، ولا عجب فى ذلك إذا ما أخذنا فى الاعتبار المجهود البدنى الشاق الذى كانوا ينخرطون فيه.

وبعد إتمام بناء الهرم، كان العديد من العمال يقومون بحزم أمتعتهم إما للانتقال إلى أحد مشروعات البناء الكبرى التالية، أو للعودة إلى قراهم ومزارعهم، غير أنه كانت هناك مجموعة منهم تظل باقية حيث تقيم بالقرب من الهرم، حتى يتسنى لها القيام بالخدمات الدينية التى كانت تُجرَى يوميًّا، وتقدم لنا بعض قصاصات البرديات التى تم العثور عليها بالقرب من هرم «نِفر إر كا رع»، أحد فراعنة الأسرة الخامسة، مفاتيح لفهم ما كان يقوم به هؤلاء الكهنة بالفعل، فقد كانت هناك مجموعة دائمة من الكهنة تُعرف بخدم الإله، فضلاً عن خمس مجموعات أخرى من الكهنة، كانت كل مجموعة منها تنقسم إلى

مجموعتين أصغر، حيث كانوا يتناوبون العمل فيما بينهم للخدمة فى مُجَمَّع الهرم لمدة شهر كامل كل عشرة أشهر، وهذا يعنى أن هؤلاء الناس كان فى وسعهم العودة إلى ديارهم بقية العام والعمل هناك.

وكانت مهامهم الوظيفية تَشْمل المساعدة فى القيام بالشعائر والطقوس اليومية داخل المعبد، والاعتناء بجميع المؤن والهدايا التى كانت تَرِدُ إلى الأهرامات، وكانت هذه الطقوس تتضمن القيام بغسل تماثيل الملك وتهيئتها، ثم تلاوة الصلوات أمامها أثناء حرق البخور، وبعد ذلك كان يتم تقديم الطعام والشراب قربانًا للتماثيل، وبعد ذلك بفترة وجيزة، يسود اعتقاد بأن المادة المقدسة المُستخلصة من هذا الطعام قد دخلت بطريقة سحرية إلى تماثيل الملك، ومن ثَمّ يتم أخذ هذه المؤن الحقيقية بعيدًا ويتم تناولها من قِبَل الكهنة، وكانت تُجرى كل هذه الأمور بما يصل إلى خمس مرات يوميًّا.

وادى الهرم المنكسر - أفاريز المعبد

ثمة مشكلة كان ينبغى على «سنفرو» أن يُمعن التفكير فيها، ألا وهى: من سيقوم برعاية مجمع الهرم، بعد أن يوافيه الأجل، فالكهنة الذين كانوا يعملون فى معبد الهرم كانوا معنيين بتلقى القرابين من الطعام والشراب المقدمة إلى «كا»، أو روح الملك، بصورة يومية إلى

أبد الآبدين، وكان هذا يعنى ضرورة توفير القرابين، ودفع رواتب الكهنة، كما هو الحال بالنسبة للبستانيين، والقائمين على أعمال النظافة، وهؤلاء الآخرين الذين يقومون على خدمة مُجَمَّع الهرم، ولقد كان جميعهم يتلقون رواتبهم فى صورة سِلع، لا فى صورة نقود، وربما تتمثل هذه السِلعْ فى الخُبز والشراب، واللحوم والخضروات، والثياب الجديدة والأحذية.

لقد كان كل ما يتمناه الفرعون هو أن يستمر الملوك الذين يأتون من بعده فى دفع رواتب جميع هؤلاء الناس، ومع ذلك، فإن أسلم الطُرُق التى تكفُل استمرارية أداء الصلوات فى معبده هو إقامة نظام دعم وإعانة لا يعتمد على النيات الطيبة لأبنائه وأحفاده الملوك من بعده، ولابد أن نتذكر هنا أن الفرعون كان أكبر مالِك للأراضى فى مصر، ذلك أنه كان يمتلك عددًا هائلاً من المزارع والإقطاعيات فى جميع أرجاء مصر، ومن ثَمّ، فقد قام «سنفرو» بحل هذه المشكلة بأن أوقف عددًا كبيرًا من هذه الإقطاعيات للصرف على أهراماته، وكان هذا يعنى أنه بدلاً من أن يكون هناك فردٌ مالِك لهذه الأراضى، صار جميع الفلاحين الذين يعملون فى هذه الأراضى هم الذين يدفعون إيجاراتهم إلى الهرم، فى صورة السِلع التى كانوا يُنتجونها.

وتُظهِر صفوف من الرسوم التوضيحية الموجودة على جدران معبد

الوادى، الخاص بـ«سنفرو»، بشكل دقيق، الكيفية التى كان يَتمُّ بها ذلك، حيث كانت كل إقطاعية من هذه الأراضى تُمثلها امرأة تحمل صينية مملوءة بالقرابين، وقد كُتب أمامها اسم كل إقطاعية ومكانها، ويُبين لنا هذا النظام أن كل هرمٍ من هذه الأهرامات كان يخلق فرص عملٍ لعدة آلاف من الناس، وكانت الموارد التابعة للملك، والتى كانت فى صورة طعام وشراب، هى مُحصلة نتاج مزارع مختلفة من جميع أنحاء القطر يتم جَلْبُها إلى مكان رئيسى واحد، ومن ثم، يتم توزيعها على جميع العمال كرواتب لهم مقابل خدماتهم، ومن هذا المنطلق، فإن الأهرامات لم تكن تمثل مجرد مثال رائع عَلى التنظيم الجماعى للناس والمواد فحسب، بل أيضًا إحدى الصور الناجحة لاقتصاد قائم على إعادة توزيع السلع والموارد، ولا نعلم فى الحقيقة عدد هؤلاء الناس الذين شاركوا فى بناء كل هرم على حدة، إلا أنه يُقَدر بأنه ما بين 20000 إلى 30000 رجلٍ كانوا يعملون لمدة ثلاثة أشهر بالتناوب، مما يعنى أن حوالى 100000 شخص كان يتم استخدامهم فى كل عام، ومن ثم فقد كانوا هم وزوجاتهم وعائلاتهم يرتبطون ارتباطًا مباشرًا بسلطان الملك.

وفاة الملك

بعد فترة حُكم مديدة وناجحة، وافت «سنفرو» المنية سنة 2476ق.م، وقد خلفه فى الحُكم ابنه «خوفو»، الذى مازالت شُهرته تجوب الآفاق فى وقتنا الحاضر كبانٍ للهرم الأكبر بمنطقة الجيزة، الذى يُعد واحدًا من عجائب الدنيا السبع.

مقبرة حِتب-حِرِس

على الرغم من أن علماء الآثار لم يتمكنوا من العثور على أدلة وفيرة تكشف النقاب عن المكان الحقيقى الذى تَّم دفن «سنفرو» فيه، إلا أن ثمة مصادفة سعيدة قد ساقتهم إلى الكشف عن مجموعة رائعة من الأشياء التى ترجع فى الأصل إلى زوجته «حِتب-حِرِس»، ففى سنة 1925م، كان هناك فريق من جامعة هارفارد يتولى أعمال التنقيب فى الهرم الأكبر بمنطقة الجيزة، الذى شيده الملك «خوفو»، ابن «سنفرو»، و«حِتب-حِرِس»، وفى ذات

يوم إذا بحامل ثلاثى القوائم لكاميرا أحد المصورين «يرتطم بطبقة من الجِصِّ أثارت فضولهم.» واتضح أنها كانت تُخفى تحتها الجزء العلوى من ممر رأسى لمدفن، وقد كشف البحث عن وجود حجرة دفن خفية تحتوى على تابوت حجرى، عبارة عن صندوق حجرى مُعَد لوضع تابوت آخر بداخله، فضلاً عن أجزاء شتى من قِطع الأثاث والأدوات الجنائزية، وكان الكثير منها مُغَطّى فى الأصل برقائق الذهب، إلا أنها كانت فى حالةٍ سيئة جدًّا، ذلك أن جميع أجزائها الخشبية قد أصابها التسوس والعطن، وتآكلت بفعل الزمن لمرور أمدٍ بعيد، غير أنه بعد سنوات من محاولاتهم الدائبة لإعادتها إلى صورتها التى كانت عليها، بات فى وسعنا الآن أن نتعرف على الأثاث الخاص «بحِتب- حِرِس»، والذى كان يشتمل على: سرير، وكراسى، وصناديق، وإطارٍ مُتقن الصنع يستخدم لحمل ناموسية كانت تحيط بسريرها، وتُظهر النقوش الموجودة على العديد من هذه المتعلقات أنها قد تم مُنِحتْ «لحِتب-حِرِس» من قِبَل «سنفرو» و«خوفو».

وأدى هذا الاكتشاف إلى ظهور لُغزين جديدين، أولهما، لماذا تم دفن زوجة «سنفرو» مع ابنها بمنطقة الجيزة وليس مع زوجها بمنطقة دهشور؟، وثانيهما، لو أن هذا هو بالفعل المكان الذى دُفِنَت فيه

«حِتِب-حِرِس»، فلماذا إذن عندما تم فتح التابوت الحجرى، وُجدَ فارغًا؟

واقترح «جورج ريزنز»، الذى كان يقوم بأعمال التنقيب فى هذه المقبرة، ردودًا على هذين السؤالين، ذلك أنه كان يساوره اعتقاد بأنه قد تم دفن «حِتِب-حِرِس» وقطع أثاثها أصلاً بأحد الأهرامات الثانوية بجوار الهرم الأحمر بمنطقة دهشور، ولكن ما لبث أن قام لصوص بالسطو على مقبرتها عقب دفنها مباشرة، وقاموا بنهبها وسرقة جثتها، وعندما وصلت أنباء هذه الفِعلة إلى الوزير (حاكم هذه المنطقة)، أصابه الهلع الشديد، حيث إنه بصفته الشخص المسؤول عن الأمن، فسوف يوقعه ذلك فى متاعب جمة إذا ما علم الملك الجديد، «خوفو»، بأن جثة والدته قد تمت سرقتها، ومن ثم، أعطى الوزير أوامره بإعادة غطاء التابوت الحجرى الفارغ إلى موضعه، وتظاهر بأن جثة «حِتِب-حِرِس» مازالت موجودة بداخل التابوت!

ووافق الجميع حينئذ على أنه من الأسلم أن يتم نقل تابوتها إلى الجيزة ومن ثم يَتمُّ إخفاؤه مرةً أخرى فى مقبرةٍ جديدة.

ونعلم أن هذا بالفعل كان هو المكان الذى تم فيه دفن «حِتِب-حِرِس» نظرًا للاكتشافات التى جرت؛ حيث تم العثور على صندوق أو خزانة من المرمر كانت مُخبأة على رفٍّ صغير بالحجرة، وكان الجزء

الداخلى من هذه الخزانة مقسمًا إلى أربعة أجزاء مستقلة، أحدها كان يحتوى فى قاعِه على مادة عضوية جافة، وأما الأجزاء الثلاثة الأخرى فكانت تحتوى على سائل يميل لونه إلى الاصفرار، وقد تم تحليل هذا السائل وثبت أنه النطرون، وهو مادة كانت تُستخدم فى عملية التحنيط، فضلاً عن حفظ بقايا الأحشاء الداخلية للملكة.

وتُعد هذه المُكتشفات بمثابة أفضل الأدلة المتوافرة لدينا فيما يتعلق بقطع الأثاث والمعدات الجنائزية إبان الدولة القديمة، وهى رائعة الصُنع والزخرفة، وجميعها تظهر درجة راقية من البراعة فيما يتعلق بالنجارة والمشغولات الذهبية، وأما المِظلة، فهى تُعد إحدى الأشياء التى تم توضيحها بالرسم فى لوحات ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ فصاعدًا، وهى مُصممة لتعليقها إما بالحُصر أو بالستائر، وذلك لضمان الخصوصية، أيضًا لإبعاد الناموس أثناء النوم، وقد تمَّ العثور على صندوق لتخزين الستائر بجوار أعمدة المظلة، وكان للسرير قائمتان، إحداهما مُطعمة، وتوجد ناحية القدمين، أما الأخرى، التى تمثل مسند الرأس، فهى كانت مُطعمة بالفضة. وأسرَّة المصريين كانت تميل بانحدار نحو جهة القدمين، وقد تَمّ العثور كذلك على كرسيين، إلا أن واحدًا منهما فقط هو الذى أمكن إعادة بنائه إلى صورته التى كان عليها، ذلك أن هذا الكرسى ذو قاعدة منخفضة

نحت بارز ملون لعازف ناى يصاحب مُطرِبا أثناء غنائه أمام الفرعون.

عريضة وحشوات مزخرفة بجانبه وظهره، وهناك كرسى آخر له عِصِىٌّ كان يُستخدم لحمل الملكة عليه، كما كانت هناك أيضًا صناديق مختلفة مُغَطَاة بزخارف متقنة الصُنع، يحتوى أحدها على عشرين إسورة من الفضة مرتبة فى صفين، وهى جميعها مزخرفة بفراشات مصنوعة من اللازورد الأزرق، والعقيق الأحمر، والفيروز الأخضر، وتذكر اللافتة الموجودة على الصندوق عبارة «صندوق يحتوى على خواتم» وأيضًا: «حِتِب-حِرِس»، والدة ملك مصر العُليا والسُفلى، وثمة لوحة لـ «حِتِب-حِرِس» تم العثور عليها على ظهر الكرسى الآخر غير المُكتمل تُظهرها وهى ترتدى صفوف الأساور، تماثل تلك التى تم العثور عليها.

لوح من الجص الملون يظهر طيورا من الإوز وهى تقتات على العُشْب.

احتفالية على متن زورق

إن ما تذكُره الأجيال اللاحقة عن «سنفرو» على أنه ملك محسن ومحبوب إنما يتضح جليًّا فى إحدى الروايات التى ذاعت بعد ذلك بألف عام، والتى تم تدوينها فى إحدى الوثائق التى يُطلق عليها الآن «بردية وستكار».

ذات يومٍ شعر الملك سنفرو بالضجر وأخذ يتجول فى جميع حجرات القصر بحثًا عن شىء يمكنه القيام به، فقام باستدعاء أحد الرجال الذين يعملون فى قصره، قائلاً له «امضِ، واحضر زازا-إم-عنخ، كبير قُرَّاء الكهنة، كاتب الكتب»، وتذكُر الرواية: «تم احضاره له فى الحال، ومن ثَمّ قال له جلالته:

«تجولتُ فى جميع حجرات القصر بحثًا عمن يُدخل الراحة إلى نفسى ولكنى لم أجده». فردَ عليه زازا-إم-عنخ قائلاً: «فلتمضِ جلالتك إلى بحيرة القصر، ولتملأ زورقًا بجوارى قصرك الجميلات يُجَدِّفْن جيئةً وذهابًا، بينما تلتمس الراحة على بحيرتك الخلابة، حيث تتأمل فى مروجها وشُطآنها البديعة، حينئذ يطيب قلبك».

اغتبط الملك جدًّا بهذه الفكرة والفتيات أخذن يُجدفن جيئةً وذهابًا، إلا أن إحدى هؤلاء الفتيات كانت قد أوقعت قلادتها الجديدة المصنوعة من الفيروز من جانب الزورق، وعندما قال لها سنفرو: «جَدِّفى! سوف أستبدلها لكِ بأخري» ردت الفتاة قائلة: «أُفَضِل قلادتى على تلك التى تشبهها» ومن

منافذ بيع مكتبة الأسرة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل- رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت: ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت: ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت: ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين
القاهرة - ت: ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية عبد المنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو من
أبو الفدا القاهرة

مكتبة المبتديان
١٣ ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان
خلف مبنى الجهاز
ت: ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة -
الجيزة - ت: ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت: ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية
٢٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت: ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك - المرحلة الخامسة
عمارة ٦ مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت: ٣٣٨٢٠٧٨/ ٠٦٤

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١٤, ١١ - بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى - أسوان
ت: ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت: ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٠

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت: ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة - عمارة سينما أمير
طنطا - ت: ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقاً

مكتبة دمنهور
ش عبد السلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة
٥ ش الثورة - المنصورة
ت: ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه ويحيا فيه، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل، باستيعابه المعلوم، وإدراكه المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين، فكل قراءة تجدد المعرفة تحرر ناس العجز أمام المشكلات، وتمنحنا طاقة الإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع وغير، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه المتجدد المتطور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات، وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إن من يحسن القراءة يحسن ممارسة الحياة. لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر.. أن نقرأ للمستقبل.. أن نقرأ للحياة

سوزان مبارك

ISBN# 9789774203993
6 221149 007819

٣ جنيهات

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨
القراءة للجميع 2008 - 2009
الهيئة المصرية العامة للكتاب